الوجودية الملحدة

دراسة نقدية

إعداد الدكتورة

جيهان نور الدين محمد المقدم
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾

سورة الأعراف: ١٧٥

(الوجودية الملحدة (دراسة نقدية))

جيهان نور الدين محمد المقدم
قسم العقيدة والفلسفة، كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان، جامعة الأزهر، مدينة العاشر من رمضان، مصر.
البريد الالكترونيgehannour١٤@azhar. edu. eg

الملخص:
مما لا شك فيه أن الإسلام والمسلمين يتعرضان دائماً وفي كل لحظة من لحظات الزمان لأفكار ومعتقدات هدامة، وفي القرن العشرين نجد نشاط هذا الغزو الفكري للعالم الإسلامي، الذي يستهدف الفرد والأسرة والمجتمع.
ويحرص الغزاة غزوا فكرياً على إبعاد المسلم عن مفاهيمه وعقائده والتشكيك فيها، ليحل محلها مفاهيم وأفكار تتناسب مع الأفكار الجديدة؛ وذلك بهدف مسخ الشخصية الإسلامية. هذا وتمثل الوجودية الملحدة اليوم واجهة الغزو الفكري الذي يروج للإلحاد في العالم الإسلامي.
والوجودية هي: اتجاه فلسفي إلحادي يبالغ في قيمة الإنسان، ويؤكد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه.
ويعد سورين كيركجارد أبرز رجال الفكر الغربي ومن مؤسسي المدرسة الوجودية، وأما أشهر زعمائها المعاصرين فهو جان بول سارتر وهو فيلسوف فرنسي ملحد.
وتختلف نظرة الإسلام عن نظرية الوجودية، فالله تعالى في المذهب الوجودي غير موجود، والدين خرافة يؤمن بها الإنسان الجاهل، والوجودي يجب أن يكون حر الإرادة، لا يجب أن يتلقى الأوامر من خارج ذاته حتى ولو كان هذا هو الله تعالى. وقد اهتمت الوجودية الملحدة بالجانب المادي من الإنسان وأغفلت تماما الجانب الروحي، وما الجانب الروحي إلا في الإيمان بالله تعالى الذي نادت به الأديان السماوية.

الكلمات المفتاحية: الوجود، الماهية، الوجودية، الالحاد، الإسلام.

Atheist Existentialism
Their upbringing, beliefs, and Islam's position on them critical study

Gehan Mohamed Nor Eldien
Department of Belief and Philosophy
,kuliatalbanatal'azhariatbialeashir min ramadan
:gehannour14@azhar. edu. egEmail

Abstract

.situation of Islam towards them. Presentation and Criticism

There is no doubt that Islam and Muslims always face destructive concepts and beliefs every moment, and in the 20th century we find an activity of such conceptual
invasion to the Islamic world whose aim is the individual, the family and the society. Those invaders are careful to take the Muslim away from his own concepts and beliefs to query and replace them with concepts and ideas that cope with the new ideas aiming at deforming the Islamic character. Existentialist Atheism represents the interface of the conceptual invasion which calls for Atheism in the Islamic world today. Soren Kierkegaard is considered the most eminent foreign thinker and the founder of Existentialism. Whereas Jean Paul Sartre is one of the most famous contemporary leaders of it, and a French Atheist philosopher. The Islamic view differs from that of Existentialism as Allah in the existential creed is not existent and religion is a myth that is believed only by an illiterate man and the Existentialist person should have free will which must not receive orders out from him even if it is Allah Himself. Existentialism gives due care to the materialistic side of man and totally ignores the spiritual side. Such spiritual side is not but the belief in Allah .as all heavenly religions call for

Keywords: Alwujud,Almahiat,Alwujudiat,Alialhadu,Al'iislam

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي أبدع وجود الكائنات فكانت دليلا على وجوده وعلمه ووحدته، فهو الأول والأخر ظهر بإيجاده للكائنات وتحيرت في إدراك حقيقته أفكار العقلاء، فهو الظاهر والباطن سبحانه نحمده كثيرًا على نعمه اللامتناهية، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا.

وبعد:

فالوجودية أحدث التيارات الفلسفية وجوداً في عالمنا المعاصر، وهي أقدم المشكلات الفلسفية التي تعرضت لها الفلسفة منذ نشأتها.

ولما كانت الوجودية مذهبا إلحادياً هداماً يؤرق دعاة الحق الذين يحرصون على بيان خطرها، كان ذلك البحث لبيان بعض من تلك المخاطر التي تهدد المحيط الإسلامي في تعرضه للتيارات العقائدية الهدامة التي وفدت إليه في العصر الحديث.

ومما لا شك فيه أن الإسلام والمسلمين يتعرضان في كل لحظة من لحظات الزمان لأفكار ومعتقدات هدامة وعلى رأسها الإلحاد، والذي كان وما زال هو الدين الجديد لفئة من الضالين، الذين يزعمون التقدمية، ومحاربة الرجعية، ويرفعون شعار العلمانية، والاتجاهات الاشتراكية العلمية.

ولقد نما الإلحاد وسط تلك الجماعات التي قصرت المعرفة الإنسانية على إدراك الظواهر الحسية فقط، فما تراه العين أو تسمعه الأذن أو ما يحس بباقي الحواس هو الجدير بأن يحكم عليه بأنه موجود، وما يقع تحت التجربة هو الموجود

حقيقة، وما الروح والنفس والعقل والفكر إلا نتاج المادة، فكل شـــيء إما مادي، أو ناتج عن المادة.

وجد هذا الاتجاه قديما لدى الفلاسـفة الماديين اليونانيين، وكان هذا واضـحا لدى السوفسطائيين من شعب اليونان، الذين أودوا بالعقل وحقائق الأشياء، وقالوا: إنه لا وجود إلا للأجسام، ومن هنا أنكروا الإله ولم يحترموا العقل.

ووجد هذا الاتجاه المادي أيضـــا لدى بعض الفلاســـفة والعلماء الأوربيين حديثاً، فقد قالوا بأن مالم يخضـع للملاحظة والتجربة فليس له قيمة، وليس له وجود حقيقي.

وقد ظهر أيضـا في العالم العربي والإسـلامي حديثاً حركات إلحادية لا دينية وهي التي ترفض مرجعية الدين في حياة الإنســـان، واللادينية تختلف عن المفهوم التقليدي للإلحاد الذي يتخذ من قضـية إنكار وجود الخالق منطلقا وركيزة أسـاسـية، إذ إنها تقدم اللادينية تصـوراً أكثر شـمولا واتسـاعا للدين، فلا تختزل الدين بمجرد الإلهية باعتبارها جزءاً صـــغيراً من منظومة فكرية واســـعة، حيث تحمل اللادينية أطيافاً متعددة لفهم الإله بطرقهم الخاصـــة بدءاً من عدم الاعتراف بوجود إله، وانتهاء بإيمان خاص بوجود إله وفق فهم محدود لعلاقته بالإنسان.

وتلك الحركات الإلحادية اللادينية ظهرت في السـنوات الأخيرة منها أصـوات تحاول تنظيم نفسها، وتنشر الفكر الإلحادي في العالم العربي، وظهرت مواقع كثيرة على شبكة الإنترنت يتبادل أصحابها نشر الفكر الإلحادي.

وهذه الدراســـة النقدية تعتبر هذا البحث رداً على هذا التحدي، وقد اخترت موضوع الوجودية الملحدة لأمور هامة، منها:

١ محاولة الكشــف عن مفهوم مصــطلح الوجود والوجودية، وخاصــة لأن الوجودية مذهب فلسـفي يدعو إلى الإلحاد، وقد جذب هذا الموضـوع اهتمام الكثير من علماء العقيدة والدعوة الإســـلامية المهتمين بمشـــكلات الشـــباب، والعمل على توعيته من بواعث الانزلاق في الإلحاد، حيث إن الوجودية مذهب إلحادي هدام.

٢ فضـح هذا المذهب الضـال من خلال التعرض لشـبهاتهم وعقائدهم الضـالة والرد عليها، حيث يحاول أعداء العقيدة الإسلامية نشر شبهاتهم وعقائدهم الضالة بين الشباب ليحدثوا في نفوسهم اضطراباً عقدياً.

منهج البحث: قد اتبعت في هذا البحث الدراسة النقدية والتي هي أساس كل عمل فلسفي.

وأما المحتوى: فهذه الدراسة تتكون من مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تناولت المقدمة أهمية الموضوع، ومنهج البحث، ومحتواه.

وأما المبحث الأول: كان في التعريف بالوجودية والإلحاد،

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالوجود والوجودية.

المطلب الثاني: التعريف بالإلحاد.

المبحث الثاني: وكان في **نشأة الوجودية الملحدة في العصر الحاضر،**

ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية الإلحادية.

المطلب الثاني: الوجود والماهية عند سارتر.

المطلب الثالث: انتشار الوجودية الملحدة في البلاد العربية.

المبحث الثالث: وكان عن **علاقة الوجود بالماهية عند المتكلمين،**

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: إثبات واجب الوجود والرد على النفاة لصفاته تعالى.

المطلب الثاني: ماهية الوجود.

المبحث الرابع: فكان في **أثر الفلسفة الوجودية الإلحادية على الفرد والمجتمع.**

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

وأخيراً ثبت لأهم المصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

وبعد: فهذا ما وفقني الله تعالى إليه، وإذ أتقدم بهذا البحث فإني أسأل الله تعالى التوفيق في القول والعمل، وأن يجنبني الزلل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى يوم الدين.

والله المستعان

الباحثة

مدخل ضروري

أولا: أثر الفكر في حياة الإنسان:

يتميز الإنســـان عن بقية المخلوقات بأنه كائن حر الإرادة، فهو وحده يعيش بحرية مطلقة يتحرك بين البدائل المختلفة، ويختار منها ما يريد لنفسه.

والإرادة في الإنســـان تابعة للعقل، ومع ســـلامة العقل تســـلم الإرادة وتكون ســـلوكيات الإنســـان في الغالب ســـليمة، ومع حدوث بعض الخلل في العقل تختل الإرادة، وبالتالي تكون سلوكيات الإنسان غير متوازنة.

والعقل كقوة في الإنسان يكون الأفكار عن الوجود وما وراء الوجود بالاستقراء المستمر للأشياء، والبحث عن الأسباب والمسببات.

ومع سلامة الأفكار التي كونت والوصول إلى القناعة الكاملة بها تتحول هذه الأفكار إلى عقيدة تســـيطر على حركة الإنســـان، وتحكم ســـلوكياته، وتتحكم في طاقاته، بل تدفعه أحيانا إلى تقديم روحه من أجل الدفاع عن المعتقد.

وفي القرن العشـرين ينشـط الغزو الفكري للعالم الإسـلامي ويسـتهدف الفرد والأسـرة والجماعة، من أجل تحويل الجميع إلى توابع يسـهل السـيطرة عليهم وإلغاء شـــخصـــياتهم، واســـتنزاف خيراتهم، وإبعادهم عن عقيدتهم الحقة إلى عقيدة مصطنعة(١).

لـذا يحرص الغزاة غزوا فكريـاً على إبعـاد المســـلم عن مفـاهيمـه وعقـائـده والتشـــكيك فيها؛ ليحل محلها مفاهيم وأفكار تتناســـب مع الأفكار الجديدة، وذلك بهدف مسخ الشخصية الإسلامية.

---

(١) انظر: من أبعاد الغزو الفكري. د/ محمد الأنور حامد عيسى ص١١، دار الكتب المصرية، ط٢ سنة١٤٣٢هـ٢٠١١م.

مفهوم الإنسان في القرآن الكريم:

للكشف عن هذا المفهوم ينبغي أن نشير إلى ناحيتين:

١ طبيعة الإنسان: هل هو جسم؟ أم هو روح فقط؟ أو هو مزيج من الروح والجسم؟

٢ تعريف الإنسان، وذلك بمعنى الوقوف على الصفات والخصائص التي ميزه الله تعالى بها عن غيره من المخلوقات.

والبحث عن ماهية الإنسان وتعريفه في ضوء القرآن الكريم يسلمنا إلى ضرورة الفصل في قضية العلاقة بين ماهية الإنسان ووجوده من خلال آياته البينات، وهذه مسألة لها أهميتها خاصة إذا علمنا أن الوجودية الملحدة قد ربطت بين القول بأن وجود الإنسان سابق على ماهيته وبين إنكار وجود الله تعالى.

ورغم أنه لا فرق بين طبيعة الإنسان وماهيته أو تعريفه؛ إلا أنني سأقتصر بالحديث عن الطبيعة الإنسانية بنظرة عامة من حيث كونها مادية أو روحية أو مزيجاً من المادة والروح، وتبدو هذه النظرة في اتجاهين:

١ المادية المفرطة.

٢ الروحية المتعنتة.

أما المادية المفرطة: فتتمثل في الفلسفة المادية التي ينكر أصحابها كل ما وراء الطبيعة والحس ولا يقرون سوى المادة وحدها [١].

(١) الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة. د/ محمد غلاب ص٥٨، الناشر/ دار أقلام عربية للنشر والتوزيع سنة٢٠١٨م.

وقد صور ابن سينا قولهم هذا وحدده تحديداً دقيقاً حيث يقول: " اعلم أنه قد يغلب على أوهام الناس: أن الموجود هو المحسوس وأن ما لا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال "، وأن ما لا يتخصص بمكان أو وضع بذاته كالجسم أو بسبب ما هو فيه كأحوال الجسم فلاحظ له من الوجود.... (١).

تلك هي دعوى أصحاب النظرة المتطرفة عن الموجودات، وهذه الدعوى تهدم حقيقة إنسانية الإنسان وتفقده ماهيته المتميزة، وهي أيضاً دعوى المحدثين منهم أمثال " بوختر " (٢)، و" أرنست هيكل " (٣) الألمانيين – كما كانت فكرة الماديين القدماء مثل " ديمقريطس" اليوناني (٤).

ولم يغير من حقيقتها تقدم العلم وتحطيم الذرة اللهم إلا في طريقة التعبير، كما هي دعوى أصحاب مذهب التطور الذي وجد فيه الماديون فرصة لتأييد مذهبهم.

---

(١) انظر: النمط الرابع في الوجود وعلله من كتاب الإشارات لابن سينا.

(٢) بوختر: طبيب ألماني وهو مادي ملحد ينكر كل ما هو وراء الطبيعة ولا يقر إلا بوجود المادة التي يرى أنها مستودع جميع القوى الطبيعية وجميع القوى التي تدعي روحية وهي القضية التي ضمنها كتابه " القوة المادية"، من موقع ويكيبيديا ـ الموسوعة الحرة.

(٣) أرنست هيكل: عالم طبيعي ألماني عاش بين عامي ١٨٣٤ – ١٩١٩م كان أستاذاً لعلم الحيوان ـ مادي ملحد ـ أيد مذهب التطور وأرجع الإنسان إلى الحيوان قبل دارون وله كتاب ألغاز الكون، وله فلسفة النشوء والارتقاء، من موقع ويكيبيديا ـ الموسوعة الحرة.

(٤) ديمقريطس (٤٦٠ ق م ـــــ ٣٧٠ ق م) فيلسوف يوناني، كان أحد الفلاسفة المؤثرين في عصر ما قبل سقراط، شارك بتأسيس المذهب الذري، وحاول أن يبرهن أن العالم مكون من عدد غير محدود من الذرات. راجع: موسوعة الفلسفة. ديمقريطس. نسخة محفوظة جامعة ستانفورد. سنة٢٠١٨م على موقع واي باك مشين.

لذلك لم يكن غريباً من الماديين أن تكون لهم دراسات بعنوان: " الإنسان آلة" [١] وأن يعبروا عن رأيهم في الإنسان وطبيعته بقولهم: " إن الدماغ يفكر كما تهضم المعدة وكما تفرز الكبد الصفراء، الفكر بالإضافة إلى الدماغ كالصفراء بالإضافة إلى الكبد " [٢].

وهكذا تكون الخاصة الإنسانية وهي التفكير الذي هو عمل العقل، والروح مجرد أثر مادي لعضو مادي، أما العنصر الأسمى في الإنسان وهو الروح أو النفس فلا وجود له في رأيهم.

وأما الروحية المتعنتة: فتتمثل في بعض الفلسفات والأديان الهندية كالبرهمانية الأولى، فرغم أنهم يرون أن الإنسان جسم وروح، إلا أن الحق والوجود الحقيقي في الإنسان هو ما يحل فيه من الجوهر المطلق أو الروح المطلقة " براهمان " وما عدا ذلك في طبيعة الإنسان من الجسم والروح فهو باطل زائف [٣].

وقد كانت هذه المقولة أساساً لما عرف عن بعض المذاهب الهندية من التشدد والتعنت في تعذيب الجسد وحرمانه من طيبات الحياة ورفض الدنيا، وتحريم النكاح والتناسل، وما يؤدي إليه من الطعام والشراب، وهكذا حتى يذبل البدن ويضعف لتفارقه النفس فتلحق بالعالم الأعلى.

وتمشياً مع أصحاب هذا المسلك فهم يرفضون السعي في الأرض وطلب الرزق، وإنما يعيشون عالة على غيرهم عن طريق الصدفة التي تيسر لهم القليل من الطعام والشراب الذي يقيم لهم الحياة. بل قد يتركون أيضاً هذا القليل [٤].

---

(١) صاحب هذه الدراسة الفيلسوف: دي لامتري فيلسوف فرنسي راجع: تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص٨٦، الناشر/ كلمات عربية للترجمة والنشر ط سنة٢٠١٢م.

(٢) المرجع السابق. د/ يوسف كرم ص٨٨.

(٣) الفلسفة الشرقية. د/ محمد غلاب ص١٠٦، الناشر/ مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٨م.

(٤) انظر: الملل والنحل. لمحمد عبد الكريم الشهرستاني. تحقيق. د/ محمد بن فتح الله بدران ج٢/٢٦٤، مطبعة الأزهر.

المبحث الأول: التعريف بالوجودية والإلحاد.

المطلب الأول: التعريف بالوجود والوجودية

التمييز بين الوجود والماهية من أقدم المسائل التي اهتمت بها الفلسفة، وقد طبق هذا التمييز على أوسع نطاق، وكانت له نتائج غاية في الفائدة، فالقول بأن شيئاً ما موجودًا يشير ببساطة إلى واقعة وجوده هنا وهناك، فالوجود يتسم بالعينية والجزئية وبأنه معطى محض كذلك، فالعملة الفضية الموضوعة على المائدة موجودة بوصفها أحد أشياء العالم، ووجودها ماثل أمامي بوصفه واقعياً ينبغي قبولها، وليس في استطاعتي أن أرغب في وجود هذه العملة أو في حذفها من الوجود، على الرغم من أنني أستطيع أن أغير من الشكل الذي توجد عليه، لكن ما إن نتحدث عن الشكل الذي توجد عليه حتى نكون قد بدأنا بالفعل في الانتقال من الوجود إلى الماهية.

وإذا كان وجود الشيء يرتبط بواقعة أنه موجود، فإن ماهيته تعتمد على واقعة (ما هو) فماهية موضوع ما تتألف من تلك السمات الأساسية التي تجعله موضوعًا معينًا، وليس موضوعا آخر، فمثلا ماهية العملة الفضية توصف بما لها من لون وبريق معدنها وتركيبها ووزنها وغير ذلك، ولابد للمرء أن يذكر جميع الخصائص الضرورية لتعرف هذه القطعة.

ومعنى ذلك إذن: أن الماهية تتسم بالتجريد والكلية، فضلا عن ذلك فإن الماهيات من الأسهل أن تجرى عليها عمليات التفكير العقلي والتحليل والمقارنة والتركيب، على حين أن الوجود بما يتصف به من عرضية محضة وآنية يستعصي على مثل هذه العمليات [1].

(١) انظر: الوجودية. تأليف/جون ماكوري. ترجمة. د/إمام عبد الفتاح إمام. مراجعة د/فؤاد زكريا ص ٨٤ وما بعدها بتصرف يسير، الناشر/ دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة ١٩٨٦م

أهمية الوجود في تأصيل المذاهب:

كما نعلم أن للوجود مكانة في العقل الإنســـاني، بل إن الأديان كثيرًا ما تحدثت عن الوجود بنوعيه فميزت بين وجود ثابت ووجود معلول متغير.

ولذلك يذكر د/مصطفى غلوش: أنه حينما أراد بعض الذين لهم شغف بإلقاء الفســـاد في الجو الإنســـاني أن يلقى تياراً يعكر صـــفو الحق ويناهض العقائد والفلسـفات، اختار قضـية لها مكانة في النفس الإنسـانية، وتلقى قبولا في دراسـتها والوقوف على مفهومها؛ بل إن الكثير يعلم أن هذه القضـــية لا يمكن أن تتوج إلا المذاهب الفلسـفية الجادة، خاصـة والتاريخ يحكى لنا أسـماء الأعلام التي خاضـت في الوجود كفكرة فلسفية يؤصل عليها الفلسفات والمذاهب(١).

ومن هنا نســتطيع القول إن كل من يســتهل فكرته الفلســفية بالبحث في الوجود؛ فإنه يجد من يستمع إليه، لذا أطلق الكثير من رواد المذاهب اسم الوجودية على مذهبه، نسبة إلى أن للوجود أهمية ومكانة خاصة في النفوس البشرية.

أما عن اختلاف النظر في الوجود فيقول د/ البهي في ذلك: إن الوجود من أهم أسباب الاختلاف بين الأديان بعضـها مع البعض، وكذا بين المذاهب الفلسفية بعضـها مع بعض، ثم بين الأديان وبين الفلسـفات من ناحية أخرى، فالأديان تقرر التفرقة بين نوعي الوجود، والفلســـفات قد تقرر ما تقرره الأديان، وقد تخالف نظر الأديان إلى هذا الوجود (٢).

---

(١) انظر: الوجودية في الميزان. د/مصـــطفى غلوش ص ١٨، وزارة الأوقاف (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) ط سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٢) انظر: الجانب الإلهي د/محمد البهي. ص ٣١٥، الناشر/مكتبة وهبه ط٤ سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

لكننا نرى أن نظرة الأديان للوجود تختلف تمامًا عن نظرة أصحاب المذاهب الفلسفية؛ فالبحث عن الوجود في الأديان هو دعوة مباشرة من الفكر الوجودي بداية ثم إلى فكرة الماهية، والوجود الفردي في الإسلام ما هو إلا ابتلاء وتجربة، وهو معنى إلى حياة أخرى أرقى من الحياة الدنيا، فالحياة الآخرة هي الأصل وهي كذلك مطمح الوجود، ومن ثم ما كان على المرء إلا أن يسعى في الدنيا ببذل الجهد لينال فيها حظه دون أن ينسى نصيبه منها ليصل بعد ذلك إلى الوجود اللامتناهي.

إذا فالبحث في الوجود عند أصحاب المذاهب الوجودية ما هو إلا منطلق لتأصيل مذهب أو فلسفة أو فكرة أو غير ذلك.

وفيما يلي نبين معاني مهمة تختص بموضوع البحث:

١ معنى لفظ الوجود في اللغة العربية:

الوجودية استقت اسمها من الوجود الذي هو مقابل العدم، فليس هناك تعريف للوجود أوضح من الوجود كما أن تصوره بديهي، فقد ذهب جمهور الحكماء إلى أنه لا شيء أعرف من الوجود، لأنه أوضح الأشياء لدى العقل [١].

والوجود في اللغة: مأخوذ من الفعل وجد، أي وجد الشيء من العدم [٢]، والوجودية نسبة إلى الوجود مقابل العدم [٣].

(١) مباحث الوجود والماهية. عرض ودراسة. د/ أحمد الطيب ص٢٢، دار الطباعة المحمدية سنة١٩٨٢م.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي. د/جميل صليبا ج٢/٥٥٨، دار الكتاب اللبناني ط١سنة ١٩٧٣م، ولسان العرب لابن منظور ص٤٧٧. ط دار المعارف بالقاهرة.

(٣) راجع: التعريفات. للشريف الجرجاني ص١٧٥، دار الفكر ط١سنة١٤١٨هـ١٩٩٧م.

والوجود: فقدان العبد بمحاق أوصـاف البشـرية، ووجود الحق؛ لأنه لا بقاء للبشـرية عند ظهور سـلطان الحقيقة، وهذا معنى قول أبى الحسـن الثوري: أنا منذ عشرين سنة بين الوجد والفقد، إذا وجدت ربى فقدت قلبي، **وهذا معنى قول الجنيد:** "علم التوحيد مباين لوجوده، ووجوده مباين لعلمه، فالتوحيد بداية، والوجود نهاية، والوجد واسطة بينهما" (١).

أيضـا فلفظ الوجود في اللغة العربية: يأتي بمعنى الحضـور، فيقال: إن فلانا موجود بمعنى أنه حاضـــر، وهذا اللفظ يقابل في باب المتناقضـــات لفظ الغياب، ويدل على معنى مضاد لمعنى هذا اللفظ تمامًا.

هذا وقد نقل اللفظ إلى معنى آخر هو الكون أو العالم، فأصـــبح لفظ الوجود رمزًا اجتماعياً للكون بكل ما فيه؛ باعتبار أن الكون يفيد دائمًا وفى أي مفهوم معنى الحضور أي المثول وعدم الغياب عن البصر أو البصيرة (٢).

وهكذا أصـــبح لفظ الوجود في اللغة العربية معنى على الكون من ناحية، وتعبير عن عالم الفرد الخاص من ناحية أخرى.

٢ معنى لفظ الوجود في بعض اللغات الأوربية:

في اللغات الأوربية وأغلبها مشـــتق من اللغة اللاتينية، نجد أن لفظ الوجود معناه الخروج من الشيء؛ لأن تلك هي دلالته في هذه اللغة.

فأصـــل اللفظ في اللغة اللاتينية مكون من مقطعين هما: ex .stere، والمقطع الأول ex يعنى الخروج، بينما المقطع الثاني stere يعنى البقاء في

(١) تاريخ الوجودية في الفكر البشرى. محمد سعيد العشماوي ص ١٢، الدار القومية للطباعة والنشر.

(٢) تاريخ الوجودية في الفكر البشرى. محمد سعيد العشماوي ص١١.

العالم، وهكذا انتقل اللفظ إلى اللغات الأوربية بما يحتويه من شـــحنة تعبيرية وما يرمز إليه من فكر.

وهو في الألمانية existenz، وكلها ألفاظ تعنى غير ما تعنيه أفعال الكينونة tobe الإنجليزية، إذ بينما تعنى أفعال الكينونة هذه وجودًا عامًا، تعنى الألفاظ المشار إليها وجودًا خاصا، هو الوجود الذي أصبح موضوع الفلسفات الوجودية بالمعنى الذي بدأه " كيركجارد" باعتبار الشـــعور بالوجود شـــعوراً حياً وتحقيق ما فيه(١).

والفارق بين الوجود والكينونة كما يوضحه الأستاذ محمد سعيد العشماوي: أن اللفظ الأول يفيد معنى الخروج إلى الكون عند الولادة في ذات حية لديها قابلية التفاعل مع هذا الكون وقدراته، فإذا بدأ التفاعل بصـــورة أو بأخرى بدأ الوجود، وقد تنصرف الكينونة فضلا عن ذلك إلى القوة الذاتية الكاملة التي فاض عنها الوجود، أي الوجود المطلق الذي لا يتفاعل مع غيره، ولا تســـري عليه أوضـــاع الإحالة المتبادلة بينه وبين الغير، كما يشـــمل من جانب آخر الوجود بالمعنى المقابل أي الوجود المتفاعل باستمرار مع كل شـيء (٢)، وعلى هذا التفسير فيكون الوجود هو الكينونة والتحقق والثبوت الذي لا يقبل الشك والانتفاء.

٣ معنى الماهية:

الماهية: تطلق غالبا على الأمر المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق، مع قطع النظر عن الوجود الخارجي (٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق ص١٢، وراجع: الوجودية في ميزان الإسلام د/ سعد الين صالح ص١٠.

(٢) تاريخ الوجودية في الفكر البشري ص١٣.

(٣) التعريفات. للجرجاني ص١٣٧.

والأمر المتعقل من حيث إنه مقول في جواب ما هو، يسمى: ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى: هوية، ومن حيث حمل اللوازم له ذاتًا، ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولا، ومن حيث إنه محل الحوادث جوهر...، وعلى هذا:

فالماهية الاعتبارية: هي التي لا وجود لها إلا في عقل المعتبر ما دام معتبرًا وهي ما به يجاب عن السؤال: بما هو [١].

والماهية الجنسية: هي التي لا تكون في أفرادها على السوية، فإن الحيوان يقتضي في الإنسان مقارنة الناطق، ولا يقتضيه في غير ذلك.

وماهية الشيء: ما به الشيء هو هو، وهي من حيث هي هي لا موجودة، ولا معدومة، ولا كلى، ولاجزئى، ولا خاص، ولا عام [٢].

أما الماهية النوعية: فهي التي تكون في أفرادها على السوية، فإن الماهية النوعية تقتضي من أفرادها ما تقتضيه من فرد آخر، فالإنسان مثلا فانه يقتضي في زيد ما يقتضي في عمرو بخلاف الماهية الجنسية [٣].

والماهية هي الحقيقة، فماهية الشيء هي حقيقته الكلية، أما الحقيقة الجزئية فتساويها الهوية أي الوجود الجزئي الخارجي، فمثلا إنسان له حقيقة كلية هي الحيوان الناطق وهذه الحقيقة الكلية هي الماهية الكلية؛ لأنها تنطبق على جميع الأفراد الخارجية، وله حقيقة جزئية هي الشخص الموجود في الخارج وجودًا جزئيا

---

(١) المعجم الفلسفي. د/جميل صليبا. ج٢/٣١٤، دار الكتاب اللبناني ط١سنة١٩٧٣م.

(٢) التعريفات ص١٣٧.

(٣) المرجع السابق ص١٣٨.

مثل محمد، على...، وغير ذلك، فالماهية هي الحقيقة الكلية، والهوية هي الحقيقة الجزئية [١].

أما الماهية في الفلسفة: فقد عرفت بأنها ما اكتنفت الوجود وحددته (وتطلق كلمة الماهية لكونها مأخوذة من جواب ما هو، أو ما تقبل الاتصاف، فالماهية قد تلحظ من حيث هي فتكون لا موجودة، ولا معدومة أي في الخارج إلا أنها تختلف بحسب ما يضاف إليها، فقد تكون مقارنة لوجود شيء، أو ثبوت خصوصية، وتسمى الماهية بشرط شيء، كالإنسان المنطوية فيه الخصوصية الفردية) [٢].

وهذا يعنى أن لكل شيء ماهية، أي حقيقته الذاتية التي تجمع بين سائر أفراده، وهذه الماهية سابقة على وجود الأفراد، فمعنى القول: الإنسان موجود؛ إثبات صفة الوجود لشيء ما سابق على الوجود وهو الإنسانية.

٤ الفرق بين الوجود والماهية:

ذكرت سابقا أن التمييز بين الوجود والماهية قديم قدم الفلسفة، لكنه حينما طبق على نطاق واسع كانت له نتائج مهمة، ولكن قبل ذكر هذه النتائج يجب أن نفهم معنى الوجودية لكي نستطيع معرفة الفرق بينهما:

معنى الوجودية: الوجودية هي المعنى الذي يجعل الكائن متصفا بالواقعية، بحيث يكون معنى أنا موجود أي أنا كائن واقعي، ومعلوم في مصطلح الفلاسفة: أن الواقعية هي عكس الإمكان، على معنى أن الإمكان استعداد للواقعية مع ملاحظة التفرقة بين الإمكان والممكن [٣].

---

(١) انظر: مباحث في الوجود والماهية. د/أحمد الطيب ص١٢٧.

(٢) نقد المذهب التجريبي. محمد طه آل شبير ص٢١١، دار الهلال بيروت ط٢ سنة١٩٨٧م.

(٣) الوجودية في الميزان. د/مصطفى غلوش ص٢٠.

والوجودية هي: الكينونة والتحقق والثبوت: تقول: فلان موجود بمعنى أنه متحقق وكائن وثابت(١).

والوجودية لا تبحث عن الوجود لما هو موجود. بل بحثها عن السائل الموجود هو نفسه، وإذا حلل الإنسان السائل نفسه ووجوده، وجد أن مجرد وجوده هو الصفة الأساسية، وبعده تأتي الأحوال والصفات، وعلى ذلك يكون الوجود أسبق من الماهية (٢)، وعلى هذا فكان للفرق بين الوجود والماهية نتائج مهمة، نذكر منها:

١ وصف الوجود بالعينية والجزئية فحينما نقول إن شيئا ما موجود فهذا يشير إلى واقعة وجوده هنا وهناك، أما الماهية فهي الشكل الذي توجد عليه (٣).

٢ وجود الشيء يرتبط بواقعة أنه موجود أما الماهية فتعتمد على واقعة ما هو.

٣ الماهية تتسم بالتجريد والكلية، ومن السهل أن تجرى عليها عمليات التفكير العقلي والتحليل والمقارنة، أما الوجود فإنه يستعصي عليه مثل هذه العمليات.

٤ الوجود ينتمي إلى مجال العرض الحادث القابل للتغيير، أما الماهية فهي كلية لا تتغير (٤).

وبناء على هذا يمكن أن نقول: إن الوجود غير حقيقي أولا يوجد وجودًا حقيقيا؛ لأن الحقيقة تنتمي إلى عالم الماهيات، غير أن الحس الحقيقي كما يرى الوجوديون يصل إلى تمرد على مثل هذه النتائج، وعندئذ تظهر فترات في تاريخ الفلسفة تعلى من شأن الموجود العيني الجزئي في مقابل الوجود الكلى المجرد الماهوي، وهذا ما أخذ به الوجوديون وبنوا عليه مذهبهم.

---

(١) الوجودية في ميزان الإسلام. د/ سعد الدين صالح ص١٠، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٨٩م.

(٢) سيأتي الحديث فيما يلي عن أيهما أسبق الوجود أم الماهية من وجهات نظر مختلفة.

(٣) راجع: الوجودية لجون ما كورى ص ٨٤.

(٤) المرجع السابق ص ٨٥.

المطلب الثاني: التعريف بالإلحاد:

معنى لفظ الإلحاد في اللغة العربية: وردت مادة " ألحد" في اللغة بمعان كثيرة، وكل منها له معنى، من ذلك ما يلي:

الإلحاد لغة: مصـــدر الفعل ألحد، ونقول ألحد عن الدين ومال وحاد وجادل، وترك القصـد فيما أمر به، ومال إلى الظلم والشـك في وجود الله تعالى، قال ابن السـكيت: الملحد العادل عن الحق، المدخل فيه ما ليس فيه، والتحد: مال، والملحد العادل عن الحق: المدخل فيه ما ليس فيه، وألحد: مارى وجادل [(١)].

وألحد الرجل: أي ظلم في الحرم، وأصـــله من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ سورة الحج: من الآية ٢٥، أي إلحاداً بظلم.

ووردت أيضا تلك الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ﴾ سـورة فصـلت: من الآية٤٠، ويقال: ألحد فلان في كلامه إذا مال عن الصواب، ومعنى الآية " إن الذين يميلون عن الحق في شأن آياتنا ليسوا بغائبين عن علمنا، بل هم تحت بصيرتنا"[(٢)].

الإلحاد في الاصـطلاح هو: مذهب فلسـفي يقوم على فكرة عدمية أسـاسـها إنكار وجود الله تعالى الخالق المدبر لهذا العالم [(٣)].

---

(١) لســـان العرب. لابن منظور مادة ألحد٢٤٦/١٢، والمعجم الوســـيط ج٨١٧/١ مجمع اللغة العربية، والمعجم الوجيز ص٥٥٢، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

(٢) راجع: تفسير الوسيط. د/ محمد سيد طنطاوي ج٤٦٥/١٢، ط٣ سنة ١٤١٠هـ١٩٨٩م.

(٣) الموســـوعة الميســـرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصـــرة. د/ مانع حماد الجهني. ج٨١٣/٢، ط٣ سنة١٤١٨م.

والإلحاد يعني إنكار وجود الله تعالى، وهو مفهوم قائم على أســـاس المذهب المادي الذي يحصر الوجود في المحسوس فقط، ولذلك يرفض الألوهية.

فالإلحاد في اصـطلاح العلماء يعني الكفر بالله والعدول عن طريق الإيمان، وحصـر الحياة في الوجود المادي، يقول د/ يحي هاشم إن الإلحاد هو: " إنكار أمر موجود في الدين لا يحتاج في إثبات وجوده فيه إلى دليل، كبر هذا الأمر كالقول بوحدانية الله تعالى، أو صـغر كالقول بغسـل الوجه في الوضـوء؛ وذلك لأن إنكار أمر من هذه الأمور يصـعد إلى مرتبة الكفر؛ لأنه يعني تكذيب الله، أو تكذيب رسوله وهذا أقصى درجات الكفر " (١).

أسماء الإلحاد:

لا شك بأن منطق الإلحاد واحد قديما وحديثا، وإن كانت له صور وأشكال ومسميات، إلا أن هذه المسـميات تلتقي كلها في سـلسـلة واحدة، حيث إن الملاحدة اخترعوها من واقع عقيدة كل مجموعة، مع الأخذ في الاعتبار أن الملاحدة كلهم يتفقون على اعتقاد الإلحاد، ولكنهم يختلفون بعد ذلك حسب الآراء والأهواء، فتأتي التسمية من ذلك الواقع، ومن أهم تلك الأسماء:

١ **الدهرية:** وهي فرقة ملحدة ترى العالم موجود أزلا وأبداً لا صـــانع له، وزعموا أن الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، وهذا العالم بلا صـانع (٢)، وقد ذكر هذا الصـنف في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ سورة الجاثية: ٢٤.

---

(١) الفكر الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية. د/ يحي هاشم. ص١٠٩، الناشر/ دار الأفاق العربية ط١ سنة١٤٠٦هـ.

(٢) المنقذ من الضلال. للغزالي. تقديم. د/ عبد الحليم محمود ص١٠٨، الناشر/ دار الكتب الحديثة.

٢ **الطبيعيون:** وهم الذين يســـندون الحوادث كلها إلى طبيعة الأشـــياء وينكرون الفاعل المختار، ويعتقدون أنه لا عالم وراء هذا المحســـوس، ويقول عنهم الإمام الغزالي: " هم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعيات، وعن عجائب الحيوانات والنباتات، وأكثروا الخوض في علم تشـريح أعضـاء الحيوانات، فرأوا فيها من عجائب صـنع الله وبدائع حكمته...، إلا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم في قوى الحيوان به، فظنوا أن القوة العاقلة من الإنســان تابعة لمزاجه أيضــا، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم، ثم إذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود، فجحدوا الآخرة... " (١).

٣ **الماديون:** وأخذت هذه التســـمية من اعتقادهم أن وجود جميع هذا الكون، إنما هو تابع لوجود المادة التي ليس وراء وجودها أي وجود مؤثر في الإيجاد.

وبعضـهم يعتقد أن المادة ترجع إلى ذرات صـغيرة جداً متجانسـة، والتغيير إنما يرجع فيها إلى شكل التأليف والتركيب بينها، فسموا أصحاب المذهب الذري، وبعضهم يردد كلمة الواقع المدرك بالحس، أو الواقع المدرك، أو الملموس، وهكذا هناك الكثير من العبارات، فقيل لهم الواقعيون، وبعضــهم اتخذ اســم الوضــعية، وبعضــهم زعم بأن الأشياء توجد أولا ثم تصنع الأفكار فسموا بالوجوديين (٢).

وهكذا تعددت الأســـماء، والهدف النهائي واحد وهو الإلحاد، ويبقى الاختلاف بينهم لفظيا لتسـهيل مغالطاتهم الناس من وراء كثرة تلك الأسماء ليكثر الخلاف حولها بين الناس وينشغلوا بها.

---

(١) المنقذ من الضلال. للغزالي ص١١٠.

(٢) الوجودية فلســـفة الوهم الإنســـاني. د/ محمد إبراهيم الفيومي ص٢٥، ط مجمع البحوث الإسلامية.

المبحث الثاني: نشأة الوجودية الملحدة في العصر الحاضر

المطلب الأول: الأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية الإلحادية:

اتخذت الوجودية فكرة الوجود منطلقا لتأسيس بنائها، وإن كانت هذه الفكرة قديمة قدم الفكر الإنساني؛ ورغم ذلك لم يصنف النقاد أحدا من هؤلاء الفلاسفة بأنهم وجوديون، رغم أنهم خاضوا في مفهوم الوجود، بينما وصف أصحاب التيار الوجودي المعاصر بأنهم وجوديون؛ ويرجع السبب في ذلك بأنه كان البحث في الوجود عند الفلاسفة الأقدمين وسيلة وليس غاية في حد ذاته، وإنما كان لغرض الاستعانة به على الوصول إلى نظرية، أما البحث المعاصر في الوجود فهو أساس وغاية في ذاته.

وقد استخدم لفظ الوجودية استخداما في مختلف الأوساط، وبرغم انتشارها وكثرة فلاسفتها؛ إلا أننا نجد أنفسنا بإزاء مجموعة من الفلاسفة لكل منهم منهج يختلف عن الآخر بحيث يصعب جمعهم في قالب واحد، خاصة وأن أساس مذهبهم هو حرية الفرد والتي يمكن أن يمارسها بأي طريقة شاء وفق رغباته وميوله.

وعلى كل يمكن أن نعرف الوجودية بأنها: تيار فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرده وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه، وهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع وتعتبر جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والألم، وهي ليست نظرية فلسفية واضحة المعاني، وقد اشتهرت بانتسابها إلى الوجود مما جعل الأنظار تتجه إليه وترقبه وتسميه بالتيار الوجودي(١).

---

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة. د/على جريشة ص١٤٦، الناشر/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بمصر ط٤سنة ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م، الوجودية في الميزان. د/ مصطفى غلوش ص١٨ومابعدها، ومحاضرات في التيارات الفكرية المعاصرة. د/ على معبد فرغلي، د/سامي عفيفي حجازي ص٨٧.

أنصار الوجودية الملحدة ومؤسسوها:

يرى رجال الفكر الغربي أن كيركجارد (١٨١٣ ١٨٥٥م) هو الأب الحقيقي للوجودية، وقد اهتم بالذات الوجودية عن العقل المجرد [١].

ثم مارتن هيدجر وهو واحد من أكبر الفلاسفة الوجوديين، وكان ممن تأثر بهم سارتر حينما كان يبحث في الوجود العام، ووضع مذهباً كاملا في الوجود [٢].

بيد أنه كان يسبق كيركجارد فيلسوف يدعى بسكال بليز (١٦٢٣١٦٦٢م) الذي راح يردد: " كل ما أراه في الطبيعة هو موضوع شك وقلق، وإن كنت لا أرى شيئا يدل على وجود خالق لكنت أنكر وجوده، ولو شاهدت آيات خالق في كل شيء لاسترحت بالإيمان، ولكن ما أراه هو أكبر من أن أستطيع إنكاره، وهو أقل من أن يقنعني فأنا في حالة تستوجب الشفقة" [٣].

ولقد يذهب البعض إلى أبعد من ذلك فيربط الوجودية بالفيلسوف اليوناني سقراط الذي عارض فلاسفة عصره فيما ذهبوا إليه من بحث في طبيعة الكون أو أصل المادة ليرد الناس إلى حقيقتهم ولينادي نداءه الشهير (اعرف نفسك بنفسك) [٤].

---

(١) محاضرات في التيارات الفكرية المعاصرة. د/ على معبد فرغلي، د/سامي عفيفي حجازي ص٨٧.

(٢) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها. د/عبدا لرحمن عميرة ص٢١٧، دار الجيل بيروت ط سنة١٤٢٦هـ٢٠٠٥م، ودراسات في الفلسفة الوجودية. د/ عبد الرحمن بدوي ص٨٨.

(٣) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها. د/عبدا لرحمن عميرة ص٢١٧.

(٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة. د/ على جريشة ص١٤٦.

ومن أهم مؤسسي الوجودية في الوقت المعاصر: جان بول سارتر المولود سنة١٩٠٥م، وهو الوحيد الذي ارتضى لنفسه أن يلقب بالوجودي، وهو أيضا من أشهر فلاسفة الوجودية فهو أديب وأستاذ للفلسفة، وقد ارتبطت الوجودية في أذهان الكثيرين باسم هذا الفيلسوف (١).

وقد صاغ سارتر هذا المذهب صياغة رائعة، وذاع صيته برغم أن نصيبه في تكوين هذا المذهب لا يقارن بشهرته، وكان أشجع الفلاسفة الوجوديين في استخلاص النتائج في عبارات واضحة من خلال كتاباته الأدبية النقدية، وكان له الفضل في إكمال بناء وانتشار المذهب الوجودي الذي وضعه كيركجارد ومارتن هيدجر وغيرهم (٢).

والوجودية في نظر سارتر هي: مذهب يجعل الحياة الإنسانية ممكنة، والوجودي الحق هو الذي لا يقبل توجيها من الخارج، ويلبي نداء شهواته وغرائزه دون قيود ولا حدود (٣).

ويشير إلى ذلك في خاتمة نشيده في تقديس الذات الانفرادية، بقوله: " إن من لا يستمع إلينا ولا يقبل حرية إطلاق النفس من قيودها إنما هو

---

(١) لذا اخترناه ليكون نموذجا للفلسفة الوجودية الإلحادية، وفي المطلب التالي سنتناول رأيه في مسألة الوجود والماهية.

(٢) تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا. تأليف/بوجينسكى. ترجمة/محمد عبد الكريم الوافي ص٢٦٣. مؤسسة الفرجانى. طرابلس. ليبيا، وراجع: المذاهب المعاصرة. د/ عبد الرحمن عميرة ص٢٣٣.

(٣) انظر: الوجودية مذهب إنساني. جان بول سارتر. ترجمة د/ عبد المنعم الحنفي ص١١ ط٤ سنة١٩٧٧م.

جبان" [١]، وقال أيضا: " إنني أفهم الوجودية كمذهب يجعل الحياة الإنسانية ممكنة، مذهب يؤكد كذلك أن كل حقيقة وكل عمل يستلزمان بيئة معينة، وذاتا.... " [٢].

ومع ذلك نجد أن الوجودية تقوم على مبدأ تقدم الوجود على الماهية بالنسبة للإنسان، وأن وجود الإنسان هو ما يفعله، وأفعاله هي التي تحدد ماهيته وتكوينه.

ونجد أن كلامه هذا لم يسلم من النقد فإن تعريفه لا ينطبق على الوجودية، خاصة وأنه تعريف لا تختص به الوجودية، ولا يعتبر سمة لها، وأن الوجودية وتعريفها في نظره لم تقم مذهبا يجعل الإنسان أكثر استعدادا لهذه الحياة؛ بل تريد أن تجعله إنسانا أكثر إباحة وأكثر حرية غير محسوبة العاقبة [٣].

وعلى ذلك لا نستطيع أن نقول أيضاً إن الوجودية فلسفة؛ ذلك لأن كل فلسفة يجب أن تصل إلى نتيجة مستفادة، أما الوجودية فلا تصل إلى نتيجة يمكن أن يستفاد منها، بل يصل الإنسان فيها إلى اليأس والتشاؤم ثم العدم، خاصة عند الجانب الملحد من الوجودية [٤].

---

(١) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٢١٧.

(٢) الوجودية مذهب إنساني ص١١.

(٣) مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية. سعد حباتر ص٣٦، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ط١سنة١٩٧٧م.

(٤) آراء فلسفية في أزمة العصر. تأليف/ أدريين كوخ. ترجمة/ محمود محمود ص٢٦٦، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية سنة١٩٦٣م.

أنواع الوجودية: الوجودية نوعان، هما:

النـــوع الأول: الوجوديـــة المقيـدة أو المؤمنـــة: وأطلـق عليهـا هـذا الاسـم المؤمنة؛ لأنها تربط نفسها بالإيمان بالله تعالى.

النوع الثاني: الوجودية الملحدة: وهي الحرة من كل المعتقدات الموروثة الدينية والاجتماعية، ويمثلها ســـارتر، فلا تؤمن بالله تعالى ولا تؤمن بالغيب ولا بالتقاليد التي يمكن أن تتحكم في سلوك الفرد، وتوجهه لصالح المجتمع الذي يعيش فيه.

ويمكن أن نقول: إن النوع الثاني وهو الوجودية الملحدة هو الأكثر شـــهرة وانتشـاراً من الوجودية المقيدة أو المؤمنة؛ وذلك لأن سـارتر اسـتطاع أن ينشـرها بفضـل كونه أديباً وشـاعراً وناقداً، فأتى بألفاظ سـهلة سـاهمت في جذب الكثير من المعجبين بآرائه وكلماته وحريته التي ليست لها حدود.

الأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية الإلحادية:

تعتبر الوجودية الإلحادية من أكثر فلسفات القرن العشرين شهرة وانتشاراً في أرجاء عديدة من عالمنا المعاصر، فقد أصبحت هذه الفلسفة مصدراً للإعجاب في الكثير من البلاد، حيث امتد أثرها إلى ميادين شـتى، واتجاهات مختلفة، نسـتطيع الوقوف على الأسباب التي أدت إلى ظهورها وانتشارها، **منها:**

١ **الكنيسة الأوربية:** لقد احتلت الكنيسة مكاناً كبيراً في النفوس الأمر الذي أعطاها هيبة وقداســـة، وســـاعد على ذلك أنه كان هناك بابوات أقوياء رفعوا مقام الكنيســـة مدى قرن كامل إلى أعلى درجات النظام والقانون في جميع البلاد الأوربية [١].

(١) راجع: قصـة الحضـارة. ول ديورانت. ترجمة/ محمد بدران ص٣٥٢، الهيئة المصـرية العامة للكتاب سنة٢٠٠١م.

وقد نتج عن تلك المكانة التي أتيحت لها في القرون الوسطى، أنها أصبحت مصدراً هاماً من مصادر المعرفة التي لا يصدر عن سواها، وأي خروج عليها خروج عن الدين.

ومن هنا أصبحت الكنيسة هي المسئول الأول عن ذلك حين حاربت العلم والعلماء مما أدى بالكثير من العلماء إلى الإلحاد وكره الدين جملة وتفصيلا. في المقابل نجد أن رجال الدين في الكنيسة لم يقدموا حلولا تعالج آلام وأوجاع الناس إبان الحروب الحرب العالمية الأولى ثم الثانية بل نجدهم يتحكمون في الحريات على أساس أنها أوامر إلهية، ولذلك عندما ظهرت الوجودية وجدت من يستحسنها ويستنكر موقف رجال الدين المستبد.

٢ **المخططات اليهودية:** من الأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية الإلحادية ما خططه اليهود وما زالوا يخططونه لهدم الأديان، وإشاعة الإلحاد، ولقد أحسن اليهود استغلال الأحداث التي قدمتها لهم الكنيسة نتيجة القائمين على أمرها. فقد قام اليهود بنشر الإلحاد بكل السبل الممكنة وغير الممكنة، لذا جاء في البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه: " إن الغاية تبرر الوسيلة ويجب ونحن نضع خططنا أن نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد"(١).

فاليهود هدفهم نشر الإلحاد لإثمار ملحدين، لذا لم يكن من قبيل الصدفة أن تنشأ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بطابعها الإلحادي الموجود عليه، فقد نشأت

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون أو قواعد حكماء صهيون، وهي: وثيقة مزيفة تتحدث عن خطة اليهود لغزو العالم، وتتضمن ٢٤ بروتوكولاً، للمزيد راجع: بروتوكولات حكماء صهيون. محمد خليفة التونسي ص١١٦، الناشر/ المكتب العربي بيروت. لبنان ط٤.

في ظل ثلاثة من رواد الفكر اليهودي، وهم: ماركس، وفرويد، وسارتر الذين روجوا بفلسفاتهم الإلحادية، والانحلال الأخلاقي السائد في المجتمع الأوربي ومنه انتقل إلى العالم العربي والإسلامي.

وتعتبر الوجودية رد فعل لفلسفات العقل التي غالت في تقديره، وجعلت منه الملكة الإنسانية العليا القادرة على حل جميع المشكلات، وجعلت العقل هو القائد الأوحد المطلق الذي يتحكم في كل شيء (١).

٣ **طريقة عرض الفلسفة الوجودية:** من الأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية الإلحادية وكانت سبباً أيضا في انتشارها، الطريقة التي عرض بها فلسفة الوجودية مذهبهم، حيث عرضوا مذهبهم بطابع أدبي يجذب إليه الناس، وجعلوا شعاراتهم وفلسفتهم ضمن كتاباتهم الشعرية والنثرية، حتى إنهم أنشأوا ما يسمى بالأدب الوجودي، والذي يمثله سارتر في أتم صورة حيث وجود نزعة إلحادية.

فعرضوا أفكارهم ضمن مؤلفات مسرحية وشعرية وقصصية، وقد جذب هذا الأسلوب الشيق السهل كثيراً من محبيه، حيث يعتبر أفضل الطرق المبتكرة للتعبير عن مذهب فلسفي (٢).

أيضا دعت الوجودية الإلحادية لأول مرة بالاهتمام بالإنسان ورغباته، وأباحت للفرد الحرية الكاملة في السلوك والميول؛ ذلك لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمكنه أن يكيف وجوده، ويتصرف في هذا الوجود الذاتي دون

---

(١) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة. د/ محمد مهران رشوان ص٩٨، الناشر/ دار الثقافة للنشر والتوزيع سنة١٩٨٤م.

(٢) الفلسفة المعاصرة في أوربا. لبوشنسكي، ترجمة د/ عزت قرني ص٨٧، سلسلة عالم المعرفة.

ارتباط بالجماعة، وقد رفضـــت الوجودية أي نظرية تهدف إلى محو الفردية من أجل تمجيد جماعي لا طائل منه (١).

٤ **الثورة الصناعية:** من الأسباب التي أدت إلى ظهور الوجودية الإلحادية وكانت سـبباً أيضـا في شـهرتها، بل وشـجعت على ظهور الإلحاد ما أحدثته الثورة الصـــناعية من نجاحات مبهرة ترتب عليها تغيير مخالف في كل المفاهيم، وترتب على ذلك اقتران الإلحاد بالقوة المادية؛ لأن الواقع يشـــهد بذلك على حد زعمهم، ولكن الإنســان لم يعرف كيف يســتخدمها على وفق مثله وقيمه الدينية: " إن دولة كروســيا لم تصــبح دولة عظمى إلا بعد أن أعلنت أنها دولة إلحادية، ورأوا مع ذلك أن الدول التي ما زالت تتمســك بالدين دول متخلفة في القوة الصـناعية، فظن الناس لذلك أن الإلحاد سـبب للقوة والعلم، وأن الدين يعني التخلف والجهل" (٢).

أيضا نستطيع أن نضيف إلى ما سبق ونقول: لا نستغرب بأن الدين حينما يساء فهمه أو تطبيقه يكون السبب الأكبر في الإلحاد، فها هو الفيلسوف الملحد (نيتشـه١٩٤٤م ١٩٠٠م) يرفض الدين المسيحي؛ لأنه يدعو إلى قبول ما يسميه أخلاق العبيد؛ "لما هو معروف عن المسيحية من أنها تبشر بالخنوع والخضوع" (٣).

فالقصـــور العقلي وعدم الفهم الصـــحيح الذي ينتهي بصـــاحبه إلى التكذيب بالغيب، عندما يحتكم الإنسان إلى حواسه فقط، ويتجاهل ما يمليه عليه عقله

---

(١) المرجع السابق ص٩٩.

(٢) الإلحاد. أســباب هذه الظاهرة وطرق علاجها. عبد الرحمن عبد الخالق ص١٣، الناشــر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ط ٢سنة١٤٠٤هـ.

(٣) ملحدون محدثون ومعاصرون. رمسيس عوض ص١٧، الناشر/دار سينا للنشر ط١سنة١٩٩٨م.

المطلب الثاني: الوجود والماهية عند سارتر:

أولا: الوجود والماهية عند سارتر:

تبدأ فلسفة سارتر في الوجود من جملة ديكارت: (أنا أفكر، إذن أنا موجود) فيرى أن هذه الجملة تفيد معنى وجود الشخص ووجود الآخرين ووجود الأشياء الأخرى التي يتكون منها الوجود [١].

ثم يفرق سارتر بعد ذلك بين الموجودات فيقرر أن ثمة موجودا في ذاته، وموجودا لذاته:

١ **أما الموجود في ذاته** فهو: ذلك الموجود الكامل الذي يكاد يشبه وجود الشيء الصلب المتماسك، ليس فيه ثغرة ينفذ منها وجود آخرين؛ ذلك أن هذا الموجود كامن في ذاته كامل بها.

٢ **والموجود لذاته هو**: موجود متغير متحرك على مسار الزمان، قوامه الشعور، وهو بذلك أقرب ما يكون إلى اعتباره مشروع وجود ينزع باستمرار إلى التنصل من ماضيه لتحقيق ذاته [٢].

ومن هنا أصر سارتر على قوله: بأن الوجود هو الوجود الفعلي الواقعي، وهذا الوجود سابق على الماهية لكن ليس مطلق الوجود، ولكن هذا فيما يتصل بالإنسان، يقول سارتر: " إن الإنسان يوجد أولا، ثم يتعرف إلى نفسه، ويحتك بالعالم الخارجي، فتكون له صفاته ويختار لنفسه أشياء هي التي تحدده، فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة، فذلك لأنه قد بدأ من الصفر، بدأ ولم

---

(١) تاريخ الوجودية في الفكر البشري. محمد سعيد العشماوي ص٨٧، الناشر/الدار القومية للطباعة والنشر.

(٢) المرجع السابق ص٨٧.

يكن شيئا، وهو لن يكون شيئا إلا بعد ذلك، ولن يكون سوى قدر لنفسه"[١]، ولهذا يعتبر سارتر وجود الإنسان أسبق من ماهيته، فالإنسان في نظره يظهر في العالم، وبعد ذلك يعرف ذاته ويكونها، وهو يقول: " فالإنسان لا شيء إلا ما يعمله ويكون لذاته... "[٢].

أسبقية الوجود على الماهية في نظر سارتر:

تعنى أسبقية الوجود على الماهية عند سارتر أن الإنسان يوجد قبل كل شيء وأنه يلقى ذاته ويبرز إلى العالم بعد ذلك، فلا وجود إذا للطبيعة الإنسانية؛ لأنه لا وجود لتصور إلهي، فالإنسان موجود فقط ليس كما يتصور ذاته بل كما يريدها وكما يتصورها بعد الوجود، بل أيضا كما يريدها في اندفاعه نحو الوجود، وليس الإنسان في ذاته إلا ما يفعل.

ثم يقول: وهذا ما تدعوه أيضا بالذاتية وما يعيروننا به بإطلاقهم علينا هذا الاسم، ثم يأخذ في شرح الذاتية فيقول: إن للنزعة الذاتية معنى مزدوجاً وخصومنا يستغلون ذلك الازدواج[٣].

وحينما يذهب سارتر إلى أن الوجود سابق على الماهية؛ فإنما يعلل ذلك بحرية الإرادة فيدعى أن: " ليس ثمة ماهية للإنسان خلقها إله من قبل، وفرض على الإنسان أن يسير بجهده إليها، إنما الأمر كله رهن بمشيئة الفرد، وإرادته يبتدع ما يعن له من قيم، ويخلق ما يريد من مبادئ؛

---

(١) الوجودية مذهب إنساني لسارتر ص١٤.

(٢) المرجع السابق ص١٤.

(٣) انظر: الوجودية فلسفة الوهم الانساني. د/ محمد إبراهيم الفيومي ص٢٦، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، وراجع: الحياة الكريمة. تأليف/بيرتون بور ترجمة. د/أحمد حمدي محمود ج ١٢٧/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط سنة١٩٩٣م.

لأن وجوده هو سابق على مثال لا ينزع إليه، أما أن يتصور وجود ذلك المثال، أو خيل إليه وجود إله يهيمن على أفعاله، فإنما يكون قد قصد التخلي عن حريته، والتنصل من إرادته "[1].

وهكذا كان هذا هو تصور سارتر لفكرة سبق الوجود على الماهية، وسبب فكرته هذه؛ هي الأساس لحرية الإنسان ومسئوليته مسئولية تامة عن أفعاله ومستقبله.

وقد يعترض على الوجوديين بأن فكرة المرء على الاختيار محدودة، فالمرء لا يستطيع أن يختار نسبه، كما لا يستطيع أن يختار نوعه وهو جنين في بطن أمه، فيرد هنا الوجوديون قائلين: إن الوجود لا يعنى أن يكون المرء منغلقا على نفسه، قد حيل بينه وبين العالم الخارجي فلا يكون لبيته باب أو نافذة[2].

ثانيا: معتقدات الوجودية الإلحادية:

أعلنت الوجودية الملحدة في عصرنا الحاضر عن وجهها القبيح، حيث ذكرت بأن الله تعالى إذا لم يكن موجوداً، فيوجد على الأقل كائن يكون الوجود سابقاً للماهية، كائن يوجد قبل أن يكون قابلاً للتعريف وفق أي مفهوم وأن هذا الكائن هو الإنسان أو الواقع الإنساني كما يقول "هيدجر"، ويعني بقوله بأن الوجود سابق للماهية هو أن الإنسان يوجد أولا، يلتقي بالعالم وينبثق فيه[3].

ولقد رفض سارتر الإله في عقله وكون فكرة خاطئة عنه في طفولته وحياته، لذا سميت فلسفته لدى الكثير من أصحاب العقائد الدينية بالوجودية الملحدة أو

---

(١) تاريخ الوجودية في الفكر البشرى. محمد سعيد عشماوي ص١٣٥وما بعدها.

(٢) انظر: معنى الوجودية (دراسة توضيحية من أعلام الفلسفة الوجودية) ص١٢، من منشورات مكتبة الحياة بيروت.

(٣) الوجودية منزع إنساني. لجان بول سارتر. ترجمة/ محمد نجيب عبد المولى ص٣١، الناشر/ دار محمد للنشر والتوزيع. تونس سنة٢٠١٢م.

الوجودية الإلحادية، وذكر مراراً بأن الفلسفة ونظرياتها قد قضت نهائياً على فكرة الله، وهو مع هذا يريد أن تسود فلسفته وتنتشر، يقول سارتر: " هناك فلسفتان للوجودية، وليست فلسفة واحدة، وهناك الوجوديون الملحدون وعلى رأسهم هيدجر، والوجوديون الفرنسيون وأنا... "(١).

ويقول كذلك: " بأنه إذا لم يكن الله موجوداً فهناك على الأقل كائن واحد يسبق وجوده ماهيته، كائن وجد قبل إمكان تعريفه على أية صورة ذهنية، وهذا الكائن هو الإنسان، وترى الوجودية أن الوجود الإنساني واقعي متجدد بشكل مستمر "(٢).

ومن هنا روج سارتر لفلسفته الوجودية الإلحادية وجعلها في قالب أدبي قصصي مسرحي، وقد استغل أسلوبه النقدي الساخر، وعنفه في الخصومة، وحبه للجدال في فرض مذهبه الوجودي على الناس، وكان جريئا في المسائل التي تمس معتقدات الناس، فينقدها في عبارات ملتهبة، وفي تحدي أحياناً، ويقول نقاد الوجودية: إنه لم يقدم جديداً إلى التيار الوجودي يمكن أن ينسب إليه، بل كانت كل بصمته على الوجودية أنه كافح بعنف من أجل ترويجها، وكأنه دينه يدعو الناس إليه، ويقولون: لقد أخذ سارتر المعاني التي وجدها عند هيدجر، ثم صاغها صياغة جديدة معتمداً على طابعه الخاص الذي يحمل الطابع الشعري الخيالي الذي لوحظ عند "كيركجارد"، والنزعة العقلية المنطقية التي نراها في تفكير ديكارت(٣).

---

(١) الوجودي مذهب إنساني. لسارتر ترجمة/ عبد المنعم الحنفي ص١١.

(٢) مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة. د/ محمد مهران رشوان ص١٠٠، دار الثقافة للنشر سنة١٩٨٤م.

(٣) الوجودية في الميزان. د/ مصطفى غلوش ص٥٥.

ويقول د/ زكريا إبراهيم: " إنه تطالعنا في ثنايا أفكاره نزعة وجدانية شـــبه مريضة، لما فيها حساسية جامحة جعلته يستغلها بشتى الألوان في استمالة قرائه، ومع ذلك فله ذكاء حاد" (١).

وقد اهتمت الوجودية بالجانب المادي من الإنســـان وأغفلت الجانب الروحي، وما جانبه الروحي إلا في الإيمان بالله تعالى، حيث الدين بالنسـبة لهم خرافة يؤمن بها الإنسـان الجاهل، فهو يتلقى أوامر ينسبها إلى واعظ غير موجود وغير مرئي يسميه الله، ثم يخر ذلك الإنسان في حماقة ساجداً في رهبة لذلك المجهول الذي خلقه في حياته.

فالوجودي في نظرهم يجب أن يكون حر الإرادة، ولا يجب أن يتلقى الأوامر من خارج ذاته، حتى ولو كان هذا هو الله تعالى.

كما أن الدين قاصـر على تلبية الرغبات الوجودية المادية؛ لأنه محدد بحدود وتعاليم، بخلاف الوجودية التي هي انطلاق كامل إلى غير نهاية؛ لأنها بلا تعاليم ولا وصايا (٢).

تعقيب:

مما تقدم نستطيع أن نقول: إنه يتفق جميع الوجوديين على قولهم: بأن الوجود يسبق الماهية، والوجودية لا تبالي بالماهيات، ولا تعير إلا لما هو موجود، والوجود عند ســارتر: " هو الوجود الفردي المشـخص وهو ما كائن بالفعل" (٣)، ومعنى ما هو كائن بالفعل أن سـارتر يريد أن يلفت الأنظار إلى أن الفعل هو الوسيلة التي تتيح للإنسان أن يصنع نفسه ومع ذلك فهو دليل إنسانيته.

---

(١) الفلسفة الوجودية. د/ زكريا إبراهيم ص١١٥.

(٢) المرجع السابق ص١١٥ وما بعدها، وراجع: الوجودية فلسفة الوهم ص٧٨،

(٣) الوجود والعدم لسارتر. ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي ص٤٤، دار الآداب بيروت ط١ سنة١٩٦٦م.

نجد أيضا أنه حينما يذهب سارتر إلى أن الوجود سابق على الماهية؛ فإنما يعلل ذلك بحرية الإرادة، ومن هنا يذهب الوجودي إلى أنه لا ماهية موجودة في العلم الإلهي الذي يخلق الإنسان على مثالها؛ ومن ثم تصبح رسالة الإنسان في الحياة السعي إلى تحقيق وجوده في إطار هذه الصور المسبقة، وليس هذا فحسب، بل سعى الوجوديون إلى إنكار وجود الخالق؛ لأن ذلك يتنافى مع الحرية الإنسانية التي يحسها الفرد.

ونجد من كل ما تقدم ذكره عن الوجودية الملحدة أن رأيهم يتنافى تماما مع الإسلام؛ وذلك لأن القرآن الكريم أشار إلى كون الماهية أولا ثم بعد ذلك يتحقق الوجود، لكن هذه الإشارة لم تكن بلفظ الماهية؛ بل بألفاظ تؤدى نفس المعنى وإن لم تصرح بها، وذلك في مثل قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ سورة الأعراف: ١٧٢، فهذه الآية قد كتب العلماء في تأويلها وأحكامها، وهي تعبير عن الذرية المكنونة في عالم الغيب المشهود، وفي حلية كل كائن إنساني مكتمل الصفات.

ولقد أشار د/ حسن محرم إلى كون الماهية سابقة عن الوجود بقوله: " إن الوجود الذي يدعون أن له السبق لا بد من القول بأنه وجود مراد ومختار كما تقتضيه الحرية، التي هي الذات الإنسانية للفرد، بل إن الصورة المثلى التي يتحقق عليها هذا الوجود هي ماثلة دائما أمام وعى ذات، وشعورها مهما كانت طبيعية فهذه هي الصور المثالية للوجود الحقيقي، وهذا المنطق يستلزم شاء الوجوديون أم أبو أن هذه الصورة للوجود الحقيقي، أو هذه الحقيقة التي يمثلها وعي الإنسان الفرد

دائما، وقد اختارها وصمم على تحقيقها، ليست في الواقع إلا ماهية سابقة على هذا الوجود... "(١).

هذا إلى جانب أن الوجودية تنادى بالحرية والاختيار المطلق، ولكن نجد أول من نادي بالحرية الإسلام الذي أنكره الوجوديون، فالإسلام نادي بحرية الاختيار حيث قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ سورة المدثر: ٣٨.

وكذا أعطاه الإرادة ليفرق بها بين الحق والباطل وبين الفجور والتقوى، حيث قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ سورة الشمس: ٧، ٨.

ونقول أيضا إن الإسلام يؤكد على الوجود الداخلي والوجود الخارجي اعترافا منه بقيمة الماهية وقيمة الوجود الفردي والجماعي، وسوف نعرض آراء المتكلمين في قضية الوجود والماهية.

المطلب الثالث: انتشار الوجودية الملحدة في البلاد العربية:

ظاهرة الإلحاد ظاهرة قديمة في بعض الأمم والأفراد، ولكنها أصبحت في هذا العصر بدعة جديدة، تظهر بألوان مختلفة ومسميات عديدة.

ويعد أتباع العلمانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد، ومن هؤلاء: أتباع الشيوعية، والوجودية، والداروينية.

وكذلك الحركة الصهيونية التي أرادت نشر الإلحاد في الأرض، فنشرت تلك الفلسفات؛ لإفساد العالم بانسلاخه من كل الضوابط التشريعية والأخلاقية كي تهدم هذه الأمم نفسها بنفسها، وعندها تخلو الأجواء للصهاينة للسيطرة على العالم بأسره.

---

(١) انظر: تأملات إسلامية في الفلسفة الوجودية. د/ حسن محرم ص١٠٣ ط١ سنة١٩٨٦م.، وراجع: الوجودية وموقف الإسلام منها. الباحث/إبراهيم خليفة عبد اللطيف. رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة. سنة١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

أما بالنسبة لظهور الإلحاد في ديار المسلمين فإنه يعود كذلك إلى أسباب كثيرة من أهمها حالة الانبهار بظهور هذه الماديات التي ظهرت على أيدي غير المؤمنين بالله تعالى، وما أصاب قلوب ضعفاء الإيمان من انبهار تام برونق تلك الحضارة الزائفة الزائلة التي أخبر الله عنها بقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الروم: ٧.

وانساق المنهزمون المغرمون بتلك الحضارة إلى التصديق بأن لا وجود لأي مدبر للعالم غير العالم نفسه خصوصا وأن المغلوب دائما يقلد الغالب ويجب أن يتظاهر بصفاته ليجبر النقص الذي يحس به أمامه.

ومن هنا وللأسف الشديد قام على نشر الوجودية الإلحادية بما تدعو إليه من تخل عن الدين، وتحلل من الأخلاق أساتذة ومفكرون وأصحاب أقلام يتحملون توجيه الشباب، وتشكيل ثقافته بنشر تلك الفلسفات الكاذبة بين أبناء الجيل الحاضر، ومن أبرز الأمثلة على ذلك حيث اعتناق الوجودية الإلحادية د/ عبد الرحمن بدوي وهو أستاذ جامعي والذي قضى أغلب حياته وكرس أكبر جهوده بنشر تلك الفلسفة الفاسدة ودافع، ونهج منهجاً لا يتفق مع العقل أو النقل أو الأصول الفلسفية، إذ حاول أن يجعل للفلسفة الوجودية اتصالا بالعقيدة الإسلامية، وبدت محاولته في ذلك تلفيقاً بين أمور لا تستقيم عند العقل أو العقيدة[1]،ونشر

(١) د/ عبد الرحمن بدوي: هو أستاذ جامعي، ترك مؤلفات عديدة وصلت إلى ما يقارب ٢٠٠ كتاب، توزعت بين اللغات الفرنسية والإسبانية والألمانية والإنجليزية والعربية، ويمكن إجمال كتاباته في مرحلتين رئيسيتين: ١- مرحلة كتاباته كفيلسوف وجودي، ٢ـ مرحلة كتاباته دفاعاً عن الإسلام في=

عن الوجودية رسالة تحت عنوان: "هل يمكن قيام أخلاق وجودية": " إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك، وإما أن تقول لا أخلاق فتخاطر بوجودك، لكن الوجودي الحق هو الذي يفضل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته"(١).

ويقول أيضا: اسمعوا من فضلكم: " الوجودي الحق أعدى أعدائه القانون، إنه الحرية نفسها، فلا معنى للواجب في عالمها، ولا تقييد لمدى انطباقها وانطلاقها، إنه الفعل الدائم أياً كان نوعه ونتائجه، فإن معاني الإثم والصواب كلها لا مفهوم لها في هذا الباب، إننا معشر الوجوديين لا نريد أن ننساق في أحلام البراءة، والبكارة، والطهارة، بل نصيح ملء فينا: افعلوا، افعلوا، حتى لو أدى ذلك إلى الخطأ "(٢).

= وجه المنتقصين منه ومن نبيه عليه الصلاة والسلام، حيث تراجع ـ رحمه الله ـ في آخر حياته من دفاعه عن الوجودية، وعاد إلى نصرة الإسلام، وله الكثير من المؤلفات لنصرة الإسلام والعقيدة الصحيحة، واعتبر بدوي في رجوعه عن المذهب الوجودي، أنه ذو عقل ناضج يفكر لا يثبت على حقيقة واحدة، وأكد أنه في مرحلته الأخيرة، كان يجدد نشاطه ويعيش بالقرب من الله تعالى، وتخلى عن كل ما كتب من قبل من آراء تتصادم مع العقيدة الصحيحة. للمزيد راجع: فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام. د/ سعيد اللاوند ص١١ وما بعدها، الناشر/ مركز الحضارة العربية ط١ سنة ٢٠٠١م بالقاهرة.

(١) من رسالة "هل يمكن قيام أخلاق وجودية" ل د/ عبد الرحمن بدوي نقلا من كتاب "ظلام من الغرب" الشيخ/ محمد للغزالي. ص١١١، نهضة مصر ط٤ سنة٢٠٠٦م، وانظر: كتاب التيارات الفكرية المعاصرة. د/ حبيب الله حسن أحمد ص٤٥ بجامعة الأزهر.

(٢) " ظلام من الغرب". الشيخ/ محمد للغزالي. ص١١١.

وحاول د/ عبد الرحمن بدوي أن يجعل هناك صلة بين التصوف الإسلامي والوجودية، فقد جعل التصوف الإسلامي هو عين الوجودية، وهذا ترويج لتيار الوجودية الإلحادي، فقد يطلع عليه من ينخدع به، فيرى أن الوجودية مذهب إسلامي.

ويجب أن نعرف أن هناك فرقاً كبيراً بين التصوف والوجودية، فالصوفية الحقيقية كما ذكر د/ مصطفى غلوش " تقوم على تناسي الذات في سبيل القرب من الله تعالى، على حين أن الوجودية تجبر كل شيء نحو الذات، ولا ترى شيئاً سوى الذات حتى ولا الله نفسه" (١).

وينقل الشيخ الغزالي عن الحال الذي وصل انتشار الوجودية بالشباب في مصر قوله: " إذا وصفت إنساناً بأنه صفر فإنه سيثور حتماً إلا في حالة واحدة، هي أن يكون هذا الإنسان وجوديا، فإنه سيعتبر ذلك فخراً واعترافاً بوجوديته" (٢).

وقد تأثر بالفلسفة الوجودية في ذلك الوقت الكثير من الشباب، حيث بلغ تأثر أحدهم بتلك الفلسفة الفاسدة درجة كبيرة حيث قتل والديه؛ تنفيذاً لأفكار قرأها صاحبها للوجوديين: " فقد اهتز الرأي العام عندما قتل شاب جامعي والديه بالرصاص، وذكر القاتل في التحقيق أنه قتل بسبب حبه الشديد لأبويه، وأنه يعيش أفكاراً هي التي دفعته إلى ارتكاب هذا الجرم

(١) الوجودية في الميزان. د/ مصطفى غلوش ص٦٤.

(٢) ظلام من الغرب. الشيخ/ محمد الغزالي ص١١١.

الشنيع، وأفصح القاتل أنه قرأ الوجودية فاعتنقها مذهباً لحياته الخاصة والعامة، وأنه فعل ما أملته عليه الفلسفة الوجودية" (١).

ولهذا كان السبب الأول في انتشار تلك الفلسفة الوجودية الداعية إلى الإلحاد والانحلال في البلاد العربية في البلاد العربية، تبنى أساتذة وكتاب يتربعون على منابر التعليم في بلادنا العربية هو انتشار كتابات جان بول سارتر بين الشباب بعد ترجمتها إلى العربية، وتقديم سارتر لفلسفته الوجودية الملحدة من الدين والأخلاق في قالب أدبي روايات ومسرحيات (٢).

(١) الوجودية في الميزان. د/ مصطفى غلوش ص٧، والتيارات الفكرية المعاصرة. د/ حبيب الله حسن أحمد ص٤٦.

(٢) لسنا بصدد نقد لما كتبه د/ عبد الرحمن بدوي، ولكن هنا نستشهد به كنموذج على أنه وجد للفلسفة الوجودية من يروج لها في بلاد المسلمين، ويأتي تصنيف د/ بدوي بانتمائه للشق الوجودي الإيماني إن صحت التسمية وليس الإلحادي، فالوجودية الملحدة هي مذهب إلحادي ينكر الألوهية والأديان، ويحطم مناهج العقل...، ودور البحث (المطلب) هنا أنه ينبه ويحذر من الوجودية الملحدة، ومن المروجين لها ومن أفكارها، للمزيد راجع: الوجودية في الميزان. د/ مصطفى غلوش ص٦٤.

المبحث الثالث: علاقة الوجود بالماهية عند المتكلمين.

المطلب الأول: إثبات واجب الوجود والرد على النفاة لصفاته تعالى

تمهيد:

قبل الحديث عن الوجود والماهية عند المتكلمين وهل الوجود نفس الماهية، أو أنه زائد عنها وغير ذلك من مسائل تتعلق بهما، يجدر بنا أولا أن نتحدث عن بناء نظرية الوجود.

بناء نظرية الوجود:

يشكل الوجود المبحث الرئيسي في الفكر البشرى، فمنذ بدأ الإنسان يسجل أفكاره وفلسفته في الشرق القديم، وفي اليونان إلى العصر الحديث كان البحث في الوجود يشغل عقل الإنسان.

حتى إننا نجد أنه في القرنين السادس والسابع بلغت نظرية الوجود تقريباً نصف العلم، وتضم ثلاثة أبحاث في الأمور العامة، والأعراض والجواهر طبقا لقسمة الوجود إلى الواجب، والعرض وأما الأمور العامة فكانت أقرب إلى المبادئ العقلية العامة التي يتوحد فيها العقل والوجود، والتي يصعب فيها التفرقة بين الميتافيزيقيا، والانطولوجيا [1]؛ لأنها تتعرض

(١) معنى الميتافيزيقيا: ما وراء الطبيعة وطبيعة الأشياء هي سببها أو الغرض منها، وهو فرع من الفلسفة يدرس جوهر الأشياء، أما الانطولوجيا: هو علم الوجود، وهو أحد مباحث الفلسفة وهو العلم الذي يدرس الوجود بذاته بما هو موجود مستقلا عن أشكاله، ويعنى بالأمور العامة التي لا تختص بقسم من أقسام الوجود (الواجب والجوهر والعرض) بل تعمم على جميع الموجودات من حيث هي كذلك، وبهذا المعنى فإن علم الوجود معادللميتافيزيقيا=

للواجب أو لواجب الوجود وهو مبدأ ميتافيزيقي وواقع أنطولوجي في آن واحد، وهي بمثابة مقدمات عامة لمفاهيم الوجود الأساسية مثل الوجود والعدم والماهية، والوجوب والإمكان والاستحالة، والعلة والمعلول.

احتياج الموجودات إلى موجد:

إن الموجودات لو كانت بأسرها ممكنة؛ لاحتاج الكل إلى موجد مستقل يكون ارتفاع الكل مرة بألا يوجد الكل ولا واحد من أجزائه أصلا ممتنعا بالنظر إلى وجوده، إذ مالا يمنع جميع أنحاء العدم لا يكون موجبا للوجود، والذي إذا فرض عدم جميع الأجزاء كان ممتنعا، نظر إلى وجوده يكون خارجًا عن المجموع فيكون واجبًا وهو المطلوب[1].

هذا وقد ذكر "صاحب المواقف" دليلا آخر على ذلك وهو: أنه لو لم يوجد واجب لذاته[2]، لم يوجد واجب لغيره، فيلزم ألا يوجد موجود.

= أو ما بعد الطبيعة، فهي نسق من التعريفات الكلية التأملية في نظرية الوجود عامة، وكان أرسطو في القرن الرابع ق. م، هو أول من أدخل مفهوما على مثل هذه النظرية التي حول أعم قوانين الوجود (علم الوجود بما هو الوجود). انظر: كتاب الحروف. للفارابي تحقيق/محسن مهدي. ص٢٣ دار الشروق بيروت ط سنة١٩٦٩م، الشفاء. لابن سينا (جزء الإلهيات) تحقيق. الأب قنواتي، د/سعيد زايد. مراجعة/إبراهيم مدكور ص٦٥، ط القاهرة سنة١٩٦٠م.

(١) المواقف في علم الكلام. لعضد الدين الإيجى ج٢٦٨/١. عالم الكتب بيروت لبنان، وراجع: الأسماء والصفات. للبيهقي ص٢٣، الناشر/ دار الكتب العلمية بيروت. لبنان سنة ٢٠١٤م.

(٢) الواجب لذاته: هو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعا، ليس الوجود له من غيره، بل من نفس ذاته، فإن كان وجوب الوجود لذاته سمى واجبا لذاته وإن كان لغيره سمى واجبا لغيره، فواجب الوجود هو الذي يكون وجوده لذاته ولا يحتاج إلى شيء أصلا. راجع: التعريفات للجرجاني ص ٢٤٩.

أما **الأول:** فلأن ارتفاع الجميع مرة لا يكون ممتنعا لا بالذات ولا بالغير، وأما **الثاني:** فلأن ما لم يجب إما بالذات وإما بالغير لا يوجد [١].

وقد ذكر هنا شبهات كثيرة، حاصلها عائد إلى أمر واحد وهو: أن يوجد هنا وفى كل مسألة تراد مذهبان متقابلان، فيردد بينهما ترديدًا مانعا من الخلو، ثم يبطل كل واحد منهما بدليل الآخر، ليلزم القدر المشترك [٢].

وحلها إجمالا: هو القدح في دليل الطرف الضعيف من المذهبين، أو في دليلهما إن أمكن، إذ قد يكون دليل الطرفين ضعيفا، ولا يلزم من بطلان دليلهما بطلانهما، **ولنذكر منها الآتي:**

الأول: لو كان الواجب موجوداً: لكان وجوده إما نفس ماهيته، أو زائدا عليها، والأول باطل، لأن الوجود مشترك، والماهية غير مشتركة، والثاني: باطل وإلا كان وجوده معلول لماهيته؛ فتتقدم عليه بالوجود، **والجواب:** وجود نفسه، ونمنع الاشتراك، بل المشترك الوجود بمعنى الكون في الأعيان [٣].

الثاني: لو كان موجودا لكان إما مختارا أو موجبا، والأول باطل؛ لأن العالم قديم بدليله، والقديم لا يستند إلى المختار، والثاني باطل، وإلا لزم قدم الحادث اليومي أو التسلسل وكل منهما محال، وإنما كان ذلك محالا لأنا لا نسلم بأن العالم قديم وهذا ضعيف الدلالة، وكذا التسلسل لأدلة أقامها المتكلمون أجلها برهان التطبيق [٤].

---

(١) انظر: المواقف. للإيجى ج٢٦٨/١، وراجع: شرح البيجوري على الجوهرة إبراهيم البيجوري ص٤٧ وما بعدها، الناشر/ مكتبة محمد على صبيح وأولاده القاهرة ط سنة ١٣٨٤٠هـ١٩٦٤م، وهناك الكثير من الأدلة على وجوب الوجود له تعالى.

(٢) انظر: المواقف. للإيجى ج٢٦٨/١.

(٣) انظر: شرح البيجوري على الجوهرة ص٤٧ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق ص٤٨.

الثالث: لو كان موجودًا لكان إما عالما بالجزئيات أو لا، والأول باطل، وإلا لزم التغير فيه؛ لتغير في الإضافات لا في الذات وأنه جائز [١].

إذن لما ثبت أن الصانع تعالى واجب فقد ثبت أنه أبدي، ولا حاجة إلى جعله مسألة تحتاج إلى النقاش؛ وذلك لأنها محسومة بدليل أن كل ما في الكون يدلنا على أن الوجود هو أول وصف للذات، وقد يظهر الوجود على أنه أول وصف للذات في كثير من الآيات القرآنية ومنها قوله تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾**سورة الإخلاص:** ١، فالأحد هنا إشارة إلى الوجود للذات، أنه أول الوجود للذات.

إثبات صفات واجب الوجود والرد على النفاة:

نقول أولا: دل جواز وجود الحوادث على وجود صانعها، فإن الجائز لا يقع بنفسه، ولا يتصف وجود صانعه بالجواز فإنه لو كان جائزًا لافتقر افتقار صنعه [٢]، و كل ما في الكون يدلنا على وجوب الوجود، لكن واجب الوجود لا يكون وجوده مطلقا بل من جهة ما وهو ممتنع وأيضا الصفات الواجبة له والتي أنكرها الكثير من النفاة، وقد رد عليهم الأمدي وبين لهم أن واجب الوجود لا بد وأن يكون واحدًا من كل جهة من غير تعدد لا بأجزاء كمية ولا بأجزاء حدية، ولا يجوز عليه ما وجب فيه من التعدد والتكثر، وأن كل ما وصف به واجب الوجود فليس حاصله يرجع إلا إلى سلب ما كقولنا إنه واجب أي لا يفتقر إلى غيره في وجوده، أو إلى إضافة ما وكقولنا إنه أول؛ أي إنه مبدأ كل موجود، وعلى هذا النحو ولربما قال

---

(١) المواقف ج١/٢٦٩.

(٢) انظر العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية. لإمام الحرمين الجوينى. تحقيق/ محمد زاهد الكوثري ص٢٦، الناشر/المكتبة الأزهرية للتراث سنة ١٤١٢هـ١٩٩٢م.

النفاة من المعتزلة: إنه لو كان له صفات وجودية زائدة على وجوده لم يخل إما أن تكون هي هو أوهى غيره، فان كانت هي هو فلا صفة له، وإن كانت غيره فهي إما قديمة أو حادثة، فإن كانت حادثة فهو ممتنع إذ الباري ليس محلا للحوادث، وإن كانت قديمة فالقدم أخص وصف للذات الإلهية، وذلك يفضى إلى القول بتعدد آلهة وهو ممتنع، ولو قامت بذاته صفات وجودية لكانت مفتقرة إليه في وجودها وذلك سيؤدى إلى إثبات خصائص الأعراض للصفات وهو محال(١).

والجواب: أما القول بأنه لو كانت له صفات ذاتية لكان متقوما وخرج عن أن يكون واجب الوجود لذاته، فالخبط إنما نشأ من الجهل بمدلول لفظ الواجب بذاته، فإنه إن أريد به ما ليس له صفات ذاتية ولا خارجية فهي نفس المصادرة على المطلوب، وإن أريد به ما ليس علة خارجية عن ذاته ولا افتقار إلى غير ذاته وسواء أكان ذلك أم لا فهو الصواب، فإن الدليل لم يدل إلا على ما يجب انتهاء جميع الحادثات إليه وانقطاع تسلسل العلل والمعلولات عليه، وهو غير مفتقر إلى أمر خارج عنه، لكن مثل هذا الواجب لا ينافى اتصافه بالصفات الذاتية وإن لم تكن مفتقرة إلى أمور خارجية(٢).

وتميز المعتزلة بين الوجود وصفات الذات، إذ تعتبر أن صفات الذات مثل الجوهرية واللونية لازمة للذات؛ غير أن الوجود ليس صفة ذات على عكس الجوهرية، فالجوهرية: صفة الوجود شرط تحقق الذات في الأعيان، ووجوب الوجود

---

(١) انظر: غاية المرام في علم الكلام للأمدي. تحقيق/حسن محمود عبد اللطيف. ص٣٥، الناشر/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة سنة ١٣٩١هـ، وشرح العقيدة الطحاوية. لابن أبى العز الدمشقي. تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط ص ١٠٥، مؤسسة الرسالة. ناشرون ط١سنة١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.

(٢) راجع: غاية المرام. للأمدي ص٣٦.

لا يثبت عند المعتزلة إلا للذات الإلهية، أما الصفات الأخرى فليست واجبة الوجود إلا ضرورة إذا كانت الشيئية والفعلية مقومة لها، وعلاقة الذات بالوجود ليست علاقة عينية متطابقة، والشيئية لا تعنى الوجود، وفى هذا تمييز بين الماهية والوجود [1].

فهنا نجد أن المعتزلة تنفى الصفات عن الله تعالى وتقول بأنها ليست واجبة الوجود، وحجتهم في هذا أنه يقتضي التشبيه بالمخلوقين.

ونرد عليهم ونقول إن الله تعالى يتصف بجميع صفات الكمال وهي واجبة له تعالى، وأنه تعالى لا يشبهه أحد من خلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، **وقد دل على ذلك العقل والنقل:**

<u>أما الدليل العقلي</u>: فإن من نفى صفة من صفاته التي وصف الله تعالى بها نفسه، كالرضا والغضب، والمحبة والبغض ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم. قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر... [2]،مع أن ما تثبته له مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيته وأثبته مثل قولك فيما أثبته؛ إذ لا فرق بينهما. فإن قال: أنا لا أثبت شيئا من الصفات. قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى مثل: حي وعليم وقدير، والعبد يسمى بهذه الأسماء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلا لما يثبت للعبد فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه.

---

(١) للمزيد راجع: شرح العقيدة الطحاوية ص١٠٦ وما بعدها، وسنتحدث في المطلب التالي عن الوجود والماهية وسنتكلم عن إنكار البعض لها وقولهم بأن الله تعالى لا ماهية له.

(٢) النفاة من المعتزلة يوافقون أهل السنة على أنه موجود، حي، عليم، راجع: شرح العقيدة الطحاوية ص١٠٥.

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأسماء بل أقول هي مجاز، وهي أسماء لبعض مبتدعاته. قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه موجود حق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه، وليس هو مماثلا له، فإن قال: أنا لا أثبت شيئا، بل أنكر وجود الواجب، قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن (١).

وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي خالق غنى عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك.

وقد علم بالحس والضرورة وجود موجود حادث كائن بعد أن لم يكن، والحادث لا يكون واجبا بنفسه، ولا قديما أزليا، ولا خالقا لما سواه، فثبت بالضرورة وجود موجودين: أحدهما واجب والآخر: ممكن أحدهما قديم والآخر حادث، أحدهما مخلوق والآخر خالق، وهما متفقان في كون كل منهما شيئا موجودا ثابتا (٢).

ومن المعلوم أيضا أن أحدهما ليس مماثلا للآخر في حقيقته، لأنهما لو تماثلا للزم أن يكون كل منهما واجب القدم ليس بواجب القدم موجودا بنفسه غير موجود بنفسه، خالقاً ليس بخالق...، فيلزم اجتماع الضدين على تقدير تماثلهما، فعلم أن تماثلهما منتف صريح (٣).

---

(١) القول السديد في علم التوحيد، تحقيق وتعليق. د/ عوض الله جاد حجازي ج١/١٢١.

(٢) المرجع السابق ج١/١٢٢.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٥وما بعدها.

فعلم بهذه الأدلة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلا قائلا للباطل ومن جعلهما متماثلين، كان مشبها قائلا للباطل[1]؛ وذلك لأنهما وإن اتفقا في مسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشاركه في شيء من ذلك، وإذا اتفقا في مسمى الوجود والعلم والقدرة، فهذا المشترك مطلق كلى يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه[2].

أما الدليل النقلي: من الأدلة النقلية: فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ سورة الشورى: ١١، فقوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ) هو رد على الممثلة المشبهة، وقوله تعالى: (وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾فهو رد على النفاة المعطلة؛ فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبه المبطل المذموم.

ومن هنا كان لزاما علينا ابتداء أن نبين رأى النفاة لصفات واجب الوجود ونرد عليهم، وإن كان الجميع أجمع على أنه تعالى موجود والجميع محتاج إليه.

وبعد ذلك ننتقل إلى ما ذكره المتكلمون على ماهية الوجود والتعرف على من أنكر الماهية ومن أثبتها.

---

(١) المشبهة فريقان: فريق يشبه ذات الله تعالى بذات المخلوقين كالشامية والسبيئية، وفريق يشبه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين مثل معتزلة البصرة. أما المعطلة: فهو مصطلح يطلقه أهل السنة والجماعة على الطوائف التي تنفى الأسماء والصفات الإلهية كالجهمية والمعتزلة، وأول من أظهر التعطيل في الإسلام هو الجعد ابن درهم. انظر: الملل والنحل للشهرستاني. تحقيق/محمد بن فتح الله بدران ج١/٤٩. مكتبة الانجلو المصرية، والمعتزلة. زهدي جارالله ص٣٦، مطبعة مصر سنة١٣٦٦هـ١٩٤٧م.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٠.

المطلب الثاني: ماهية الوجود:

١ إنكار المعتزلة للماهية:

بعد أن بينا فيما سبق كيف أنكر النفاة من المعتزلة صفاته تعالى؛ بحجة عدم تشبيهه لأحد من خلقه في تلك الصفات، نجد أن هناك طوائف من المعتزلة ذهبت إلى القول بأن الله تعالى لا ماهية له، وقالوا: بأن اعتقاد ذلك في الله تعالى خطأ وباطل، واحتج من أنكر الماهية بالقول: أنه لا تخلو الماهية من أن تكون هي الله عز وجل أو تكون غيره؛ فإن كانت غيره والماهية لم تزل، فلم يزل مع الله تعالى غيره وهذا كفر.

وإن كانت هي هو، وكنا لا نعلمها، فقد صرنا لا نعلم الله تعالى، وهذا إقرار بأننا نجهله، والجهل بالله تعالى كفر، وقالوا: بأنه لو أمكن أن تكون له ماهية لكانت له كيفية(١).

الرد عليهم:

بعد إنكار المعتزلة للماهية، نجد أن من تصدى للرد عليهم في ذلك هو ابن حزم الأندلسي فقال: هم أنكروا الماهية وهذا من جهلهم بحدود الكلام، ومواقع الأسماء على المسميات.

وماهية الشيء إنما هي الجواب في سؤال السائل بما هو. وهذا سؤال حقيقة الشيء وذاته، فمن أبطل الماهية فقد أبطل حقيقة الشيء

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم الأندلسي. وضع حواشيه/أحمد شمس الدين ج١٣/٢، الناشر/ دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، وراجع: مقالات الإسلاميين. تحقيق/محمد محيي الدين عبد الحميد ج٢٨/١، ط٢مكتبة النهضة المصرية سنة ١٣٨٩هـ١٩٦٩م.

المسؤول عنه بما هو؟ لكن أول مراتب الإثبات هي الآنية، وهي إثبات وجود الشيء فقط، وهذا أمر قد علمناه وأحطنا به، ولا يتبعض العلم بذلك فيعلم بعضه ويجهل بعضه، بل يتلو الآنية التي هي جواب السائل يهل فيما بينا السؤال بما هو؟ وأما الباري عز وجل. فالسؤال عنه بما هو...؟ هو السؤال بهل، وهو الجواب في كليهما واحد. فنقول: هو حق واحد أحد، أول، لا يشبهه شيء من خلقه، وإنما اختلفت الأنية والماهية في غير الله تعالى لاختلاف الأعراض في المسؤول عنه، وليس الله تعالى كذلك، ولا هو حامل أعراضا أصلا.

ويذكر ابن حزم قولهم: بأنه لو كانت له ماهية لكانت له كيفية، ويرد عليهم بأنهم قوم جهال بالحقائق، وبان لكل ذي عقل أن السؤال بما هو الشيء؟ غير السؤال بكيف هو الشيء؟ وأن المسؤول عنه بإحدى اللفظتين المذكورتين، غير المسؤول عنه بالأخرى، وأن الجواب عن إحداهما غير الجواب عن الأخرى(١).

وبيان ذلك: أن السؤال بما هو الشيء؟ إنما هو سؤال عن ذاته واسمه، وأن السؤال بكيف...؟ إنما هو سؤال عن حاله وأعراضه وهذا لا يحوز أن يوصف به الباري.

الوجود والماهية:

إنه من المعلوم بالضرورة أنا نصف واجب الوجود لذاته بأنه موجود، ونصف أيضا ممكن الوجود بأنه موجود، وما نعنى به هنا هو واجب الوجود؛ ونتساءل هل وجوده نفس ماهيته أو أن وجوده زائد على ماهيته؟

---

(١) الفصل. لابن حزم ص١٤.

ونجيب على ذلك بالقول: بأن الخلاف بين الوجود والماهية قديم، وهو على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: الوجود هو نفس الماهية في الواجب والممكن على السواء[١]، ولكن الوجود في هذا المذهب وإن كان نفس ماهية الشيء؛ إلا أنه في الواجب غيره في الممكن وليس الوجود إلا من قبيل الألفاظ المشتركة، وذلك مثل العين التي تطلق على عضو الإبصار، والذات على الجاسوس...، فاللفظ مشترك والطبائع مختلفة. وهذا قول أبى الحسن الأشعري وأبى الحسين البصري[٢].

المذهب الثاني: لا ماهية لله تعالى بل هو الوجود المجرد بشرط سلب العدم عنه ووجوده غير مشترك فيه، أما سائر الممكنات فلها ماهيات زائدة على وجودها.

وبعبارة أخرى: أن وجود الله تعالى نفس ماهيته، ووجود الكائنات مغاير لماهياتها، وهذا هو رأى الفارابي وابن سينا[٣]، وقد قال أرسطو من قبلهما: (فأما الماهية فغير موجودة للقديم لأنه ليس بذي هيولى)[٤].

---

(١) هذا الدليل (الواجب والممكن) يستند إلى حدوث العالم فيبدأ من القضية (العالم حادث) وخلاصته: أنه إذا ثبت أن العالم حادث فالحادث جائز حدوثه وعدمه وجائز وقوعه على هيئة أخرى غير الهيئة التي وجد عليه، وجائز وقوعه قبل وقت حدوثه وبعده؛ فإذن لا بد من محدث خصه بالحدوث في وقت دون وقت وعلى هيئة دون هيئة أخرى. انظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد د/محمود قاسم ص١٤٤، ط مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٥م.

(٢) انظر: شرح المقاصد.ج١/٤٥، وشرح المواقف. ج١/٢٧٠وما بعدها.

(٣) الشفاء. لابن سينا ج١/٣٤٧.

(٤) أرسطو عند العرب. د/عبد الرحمن بدوي. مقالة اللام لأرسطو ص٨، الناشر/وكالة المطبوعات. الكويت سنة١٩٧٨م.

المذهب الثالث: الوجود له معنى واحد في الواجب والممكن جميعا وهو أيضـــا زائد عليهما جميعا، وذكر الرازي أن هذا الرأي هو رأى طائفة عظيمة من المتكلمين [١].

وقد اســـتدل الرازي بما في هذا العالم من الإحكام والإتقان على علم الفاعل، وذكر بأن الذي يدل على علمه هو بالدلالة على ذاته أولى وأوجب [٢].

وسنبدأ أولا بمناقشة أدلة القائلين بكون الوجود نفس الماهية، وذلك فيما يلي:

القائلون بكون الوجود نفس الماهية:

ذكر صـــاحب المواقف عن المتكلمين: "أن الوجود نفس الماهية أو جزؤها: في أن الوجود نفس الماهية، أو جزؤها أو زائد عليها" [٣]، وفيه مذاهب كما ذكرنا من قبل:

أحدهما: للشيخ أبى الحسن الأشعري وأبى الحسين البصري، حيث ذكر الأشعري: "بأن وجود كل شيء هو عين ماهيته" [٤] فهو غير زائد، وذلك لعدة وجوه:

الأول: لو كان زائدا كانت ماهيته من حيث هي غير موجودة فكانت معدومة، فيلزم اتصاف المعدوم بالوجود وهو تناقص، والجواب من وجهين:

الوجـــه الأول: الـنقص بسـائر الأعـراض الزائـدة، والحـل هـو: أن الماهيـة مـن حيث هي لا موجودة ولا معدومة وكل منهما أمر ينضم إليها.

---

(١) المطالب العالية من العلم الإلهي. لفخرالدين الرازي. تحقيق د/أحمد حجازي السقا ج١/١١٠، الناشر/دار الكتاب العربي ط١ سنة١٤٠٧هـــ١٩٨٧م، وراجع: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص٣٢، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) نهاية العقول. للرازي ص٩٤ مخطوط رقم (٧٤٨) ط دار الكتب المصرية.

(٣) راجع: شرح المواقف ج٢/١٢٧.

(٤) انظر: التحقيق التام في علم الكلام. تأليف/محمد الحسيني الظواهري ص٢٨ الناشر/مكتبة النهضة المصرية ط سنة ١٣٥٧هـ١٩٣٩م.

الوجـــه الثـــاني: قيـام الصـفة الثبوتيـة بالشـيء فـرع وجـوده فـي نفسـه ضـرورة، فلـو كـان الوجـود صـفة قائمـة بالماهيـة لـزم أن يكـون قبـل الوجـود لهـا وجـود، ويلـزم تقـدم الشـيء علـى نفسـه، ويعـود الكـلام فـي ذلـك الوجـود وتتسلسـل الموجـودات إلـى مـالا نهايـة، ومـع امتناعـه فـلا بـد مـن وجـود لا يكون بينه وبين الماهية وجود آخر قطعا.

والجـــواب: أن الضـــرورة فـــي صـــفة وجوديـــة هـــي غيـــر الوجـــود، وأمـــا الوجود فالضرورة تقتضي بامتناع مسبوقيته بالوجود [1].

الثاني: لو كان زائدا لكان له وجود وتتسلسل الموجودات.

والجـــواب: المنـــع إذ قـــد يكـــون مـــن المعقـــولات الثانيـــة، وإن ســـلم فقـــد يكـون وجـود الوجـود نفسـه، وكـذلك قـدم القـدم وحـدوث الحـدوث، وأمثالـه، فـإن كل وصف يلحق الغير فهو زائد عليه لكن ثبوته لنفسه ليس أمرا زائدا [2].

والخلاصـــة التـــي يمكـــن أن ننتهـــي إليهـــا أن الشـــيخ أبـــا الحســـن الأشـــعري قـد قـال: بـأن الوجـود هـو نفـس الماهيـة أوعينهـا فـي الواجـب والممكـن علـى السـواء، ولـذلك فعنـده الوجـود إنمـا يقـال علـى مصـدوقاته بالاشـتراك اللفظـي، كمـا تقـال العـين علـى مصـدوقاتها، وأنـه لـيس وراء لفـظ الوجـود مـن معنـى غير الماهية نفسها.

أيضـا كـان قـد اسـتدل علـى مطلبـه باعتبـاره المعـروض أي الماهيـة ولكنـه كـان قـد اسـتدل عليـه أيضـا باعتبـاره العـارض نفسـه أي الوجـود، وبهـذا

---

(١) شرح المواقف ج١٢٨/٢وما بعدها، وراجع: شرح المقاصد للتفتازاني. تحقيق د/عبد الرحمن عميرة ج١٦٤/١ ط عالم الكتب بيروت سنة ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.

(٢) شرح المقاصد ج١٦٤/١.

النحو نرى أن الوجود العارض للماهية قد فرض ذا حقيقة لا يخلو الأمر فيها ككل حقيقة من أن تكون موجودة أو معدومة، فعلى وضع أنها معدومة، أي على فرض أن الوجود العارض للماهية المعروضة هو موصوف بالعدم اقتضى محالين اثنين، **وهما:**

المحال الأول: أن يتصف الوجود بنقيضه وهو العدم، فيجتمع فيه النقيضان، كأنك قلت موجود وغير موجود من كل الحيثيات في الزمان والمكان... وغير ذلك.

والمحال الثاني: أن الماهية المتصفة بالوجود قد اتصفت بالوجود والعدم، أي أن الماهية تكون قد تحققت بشيء هو في نفسه غير متحقق، ومعلوم أن ما يحقق أمر غيره هو فرع لأن يتحقق في نفسه(١).

أما القائلون بأن الوجود زائد على الماهية: في حين كانت الأشعرية ترى أن وجود كل ماهية عبارة عن نفس حقيقتها، وكل وجود هو عين الموجود، دون التمييز بين الشيئية (الذاتية) والوجود؛ نرى أن هناك من قال بغير ذلك حتى أن البعض أول عبارة الأشعري في قوله: بأن الوجود هو عين الماهية.

فنجد أن السعد قال: ليس المراد العينية حقيقة، بل المراد أنه ليس زائداً على الذات في الخارج بحيث تصح رؤيته، فلا ينافي في أنه أمر اعتباري وهو الحق الذي لا محيص عنه؛ وعليه فقد أولوا عبارات الأشعري، وعليه فلا يكون في عد الوجود صفة تسامح؛ لأن الصفة يكفي فيها مغايرة الموصوف وإن لم تكن زائدة في الخارج(٢).

---

(١) الملل والنحل. للشهرستاني. تحقيق/محمد فتح الله بدران ج١/٧٦، مكتبة الانجلو المصرية.

(٢) شرح المقاصد ج١/٤٥.

أيضا أكدت المعتزلة على مبدأ ثبوت الذاتية في الموجودات، فالموجود في التصور الاعتزالي يتركب من ذات وصفة ذات، وصفة مقتضاة عن صفة الذات، ومن ثم الوجود هو الذي يظهر هذه الصفات.

وإذا كان الوجود والذات يتسمان بالشمولية؛ فإن صفة الذات والصفات المقتضاة عنها هما اللتان تحددان تفرد الموجود، واختلافه بين موجود وآخر، وإذا كانت الجوهرية تحدد صفة الذات، فإن التحيز أو الوجود في حيز هو صفة مقتضاه عنها، وهما الصفتان اللتان تحققان تفرد واختلاف الوجود [١].

وعلى هذا فالمعتزلة تميز أيضا بين الوجود وصفات الذات، إذ تعتبر أن صفات الذات "صفات الأجناس"مثل الجوهرية واللونية لازمة للذات؛ غير أن الوجود ليس صفة ذات، على عكس الجوهرية، فالجوهرية صفة والوجود شرط تحقق الذات في الأعيان، ووجود الوجوب لا يثبت عند المعتزلة إلا للذات الإلهية، أما الصفات الأخرى فليست واجبة الوجود ضرورة إلا إذا كانت الشيئية والفعلية مقومة لها، وعلاقة الذات بالوجود ليس علاقة عينية متطابقة، والشيئية لا تعنى الوجود، وفي هذا تمييز بين الماهية والوجود في الأشياء والكلمات، الاسم والمسمى، الموجود والمعدوم[٢].

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٣٢، ومقدمة في نقد الفكر المعاصر من الماهية إلى الوجود. د/جميل قاسم ص٣١، دار الهلال بيروت سنة ١٩٩٦م.

(٢) المرجع السابق ص٣٢وما بعدها.

وأبعد من هذا ذهب أبو هاشم الجبائي[١] في نظرية الأحوال المبتكرة[٢] إلى اعتبار صفة الوجود، صفة زائدة على التحيز باعتبار أن التحيز والكون ليس الوجود عينه، وفى هذا تأكيد على تفرد الحال، واعتبار أن مسألة ما لا حالا هو إثبات تميزه عن ما عداه، باعتبار أساس التحيز والتميز والاختلاف، واعتبار الذات حالا هو افتراض اختلاف الحال عن ملزومه أي الذات، وعن لازمه أي صفة الوجود[٣].

ونلاحظ بصفة عامة على المعتزلة دائما النظرة الأساسية لها في المسائل تبقى محددة بالأصول الخمسة العامة، كذا نظرتهم في الوجود، فنجد أنه قبل أي تحليل تكمن نظرتهم في الوجود والماهية في طيات موقفها القدري في التأكيد على الاختيار القدري مقابل التواكل الجبري، وعلى الوجود الفردي مقابل الوجود الكلى وعلى الإنسان كحامل للأمانة التي تحملها فهو المسئول في جميع أعماله.

---

(١) هو: أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي من كبار شيوخ المعتزلة توفي ببغداد سنة ٣٢١هـ، وراجع: الملل والنحل. للشهرستاني ج١/٣٥.

(٢) نظرية الأحوال عند الجبائي: مضمونها أن الأحوال تعنى أن الذات الإلهية تكون على حال ثم تكون على حال أخرى فتكون تارة عالمة ثم على حال قادرة ثم أخرى مريدة وهكذا، وقد قوبلت هذه النظرية بنقد شديد من كثير من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من متكلمي أهل السنة والفلاسفة. انظر: المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار. تحقيق/عمر السيد عزمي ص٨٦، الناشر/المكتبة الأزهرية للتراث.

(٣) انظر: الملل والنحل ص٣٣، ومقالات الإسلاميين تحقيق/محمد محيى الدين عبد الحميد ج١/٢٧ ط٢ مكتبة النهضة المصرية سنة١٣٨٩هـ١٩٦٩م.

رأى الإمام الرازي في هذه المسألة: من القائلين أيضا بأن الوجود زائد على الماهية الإمام الرازي، فقد استدل أولا بما في هذا العالم من الإحكام والإتقان على علم الفاعل، وذكر بأن الذي يدل على علمه هو بالدلالة على ذاته أولى وأوجب[١].

ويشرح الرازي دليل الإمكان والوجود والذي قد أخذه عن ابن سينا فيقول: كل ما سوى الموجود الواحد ممكن لذاته، وكل ممكن لذاته محدث.

بيان المقدمة الأولى: أنا لو فرضنا موجودين يكون كل واحد منهما واجبا لذاته فلا بد أن يكونا متشاركين في الوجوب الذاتي، ولا بد أن يكونا متشاركين في الأعيان، بمعنى أن ذات كل منهما مستقلة بعينها عن ذات الأخرى، والقدر المشترك بينهما وهو مسمى الوجود يختلف عما يفترق به كل منهما عن الآخر وهو يتعين ذاته واستقلالها بالوجود الخارجي فيكون الواجب حينئذ مركبا من شيئين، ما يشترك فيه مع الممكن وما يتميز عنه، والمركب مقتصر إلى غيره.

وينتهي من ذلك بقوله: فثبت أن كل ما سوى الموجود الواجب يجب أن يكون ممكنا لذاته وهذا محدث، فثبت أن ما سوى الواحد لذاته محدث، وهذا يحتاج إلى محدث ثم يصل إلى أن البرهان يفيد حدوث الجواهر والأعراض[٢]، والعقول

---

(١) انظر: نهاية العقول للرازي ص٩٤ مخطوط رقم (٧٤٨) ط دار الكتب المصرية.

(٢) الحديث عن الجواهر والأعراض يطول، لذا حاولت الاختصار بالحديث عن الوجود والماهية عند المتكلمين، لاتصاله بالبحث، ولمعرفة رأي المتكلمين؛ وذلك لأن الكثير من المتكلمين لم يخرج استدلالهم عن الوجود والمسائل المتعلقة به عن دليل الواجب والممكن، وقد سبق الحديث عنه، وكذا دليل الجوهر والعرض، وهما من الأمور العامة التي تتعلق بالوجود والماهية.

والهيولى وهو برهان عظيم واف بإثبات أكثر المباحث الشريفة[١].

وهذا مما يدل على أن الرازي كان يقول بأن الوجود زائد على الماهية، ومما يؤكد أيضـــا على أن الرازي قد ذكر بأن الوجود زائد على الماهية؛ أنه قد ذكر في بعض كتبه أن مســمى الوجود مشــترك فيه بين الموجودات، وأن الوجود زائد على الماهيات[٢].

وذكر أيضـــا أن وجود الله تعالى عارض للماهية، ثم نجد أنه قال بعد ذلك في المطالب العالية: " إن الوجود صفة لله تعالى زائدة على ماهيته، وأشار إلى أنه قد بدل رأيه في هذه المسألة"[٣].

إلا أننا باســـتطاعتنا القول: إن رأى الرازي الحقيقي هو أنه قد ذكر أن مثل هذه المباحث لا تنتهي إلى نتيجة مقنعة؛ لأن الذات الإلهية فوق كل التصـــورات الإنســـانية، والدليل على ذلك هو: (أن ابن تيمية قد نقل عن الرازي أنه قال في أقسام الذات: إن العلم بالذات عليه عقدة وهي هل الوجود هو الماهية أو زائد على الماهية، (ثم قال) من الذي وصل إلى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب؟)[٤].

---

(١) انظر: قضية الألوهية بين الدين والفلسفة. د/ محمد السيد الجليند ص٨٣، الناشر/ دار قباء للطباعة والنشـــر بالقاهرة ط ســـنة ٢٠٠١م، وراجع: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية. محمد صالح الزركان ص١٧٢.

(٢) المطالب العالية من العلم الإلهي. للرازي ج١/ ١١٠، وراجع: محصـــل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص١٠.

(٣) المطالب العالية للرازي ج١/١١٠، وراجع: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلســـفية ص١٧١.

(٤) انظر: موافقة صحيح المنقول لابن تيمية ج١/٩١، ط أنصار السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٣٧٠هـ١٩٥١م.

التوفيق بين الآراء السابقة:

إننا قبل الانتهاء من هذا المطلب لا بد من محاولة التوفيق وبيان المتنازع فيه بين الأشعري والمعتزلة وغيرهم فنقول:

بأن أدلة القائلين بأن وجود الشيء بالمعنى المقابل لعدمه زائد عليه لا تفيد سوى أن ليس المفهوم من وجود ذلك الشيء هو المفهوم من ذلك الشيء من غير دلالة على أنه عرض قائم به قيام العرض بالمحل، فإن هذا لا يقبله العقل.

وأدلة القائلين بأن وجود الشيء هو نفس ذاته لا تفيد سوى أنه ليس للشيء هوية، والعارض المسمى بالوجود هوية أخرى قائمة بالأولى، بحيث يجتمعان اجتماع البياض والجسم من غير دلالة على أن المفهوم من وجود الشيء هو المفهوم من ذلك الشيء فإنه بديهي البطلان [1].

فالذي يظهر أن لا خلاف في زيادة الوجود على الماهية ذهنا؛ بمعنى أن للعقل أن يلاحظ الوجود دون الماهية، ويلاحظ الماهية دون الوجود لا عينا، أي بحسب الذات أو الهوية بأن يكون لكل منهما هوية متميزة تقوم إحداهما بالأخرى، فعند بيان هذا يرتفع الخلاف بين الفريقين.

(١) التحقيق التام في علم الكلام ص٢٩.

المبحث الرابع: أثر الفلسفة الوجودية الإلحادية على الفرد والمجتمع.

في المبحث السابق عرضنا رأي علماء الكلام في هذه المسألة، ورأينا الاختلاف الواضح بينهم وبين هؤلاء الملاحدة في قولهم بأن الوجود سابق على الماهية، معللين ذلك بحرية الإنسان ومسئوليته مسئولية كاملة عن أفعاله، أما في هذا المبحث فسنبين إن شاء الله تعالى أثر تلك الفلسفة العقيمة على الفرد والمجتمع، فنقول:

الوجودية مذهب فلسفي أدبي ملحد، وهو أشهر المذاهب الأدبية في القرن العشرين وهو يرى أن الوجود الإنساني هو الحقيقة اليقينية الوحيدة فلا يوجد شيء سابق عليه، ولا يوجد شيء لاحق له؛ لذلك فإن هدف الإنسان في هذه الحياة يتمثل في تحقيق الوجود ذاته، ويتم ذلك من خلال ممارسة الحياة بحرية مطلقة، حيث لا وجود للقيم والأخلاق ولا الدين عندهم، لهذا نرى انحلالهم الأخلاقي تغلغل في ميادين كثيرة ومتعددة، ونراه في الفلسفات الحديثة والمعاصرة، ولتلك الفلسفة الإلحادية الوجودية أثار واضحة على الفرد والمجتمع، **ومن هذه الآثار ما يلي:**

١ـ الإخلال بالتوازن في شخصية الإنسان:

جعل الله تعالى في الإسلام توازناً بين الجانب الروحي والجانب البدني، ولا يجب أن يطغى جانب على جانب، وعن طريق المحافظة على الجانبين يحقق الإنسان الغاية من خلقه، وهي تحقيق خلافة الله تعالى في الأرض.

فالمؤمن بالله تعالى هو صاحب الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح، ويشبع فيها حاجتهما، إن الشخصية السوية تعني بالبدن وصحته، وتشبع حاجاته في الحدود التي رسمها الشرع، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله، وتؤدي العبادات، وتقوم بكل ما يرضي الله تعالى، ويتجنب كل ما يغضبه تعالى.

فالشخص الذي ينساق وراء شهواته وهواه شخص غير سوي، وكذلك الشخص الذي يكبت حاجاته البدنية، ويقهر جسمه ويضعفه بالرهبانية المفرطة والتقشف الشديد هو أيضا شخص غير سوي؛ وذلك لأن كلا من هذين الاتجاهين المتطرفين يخالف الطبيعة الإنسانية، ويعارض فطرتها، ولذلك فلا يمكن أن يؤدي أي من هذين الاتجاهين إلى تحقيق ذاتية الإنسان الحقيقية، كما لا يمكن أن يؤدي بها إلى بلوغ كمالها الحقيقي(١).

هذا هو الإنسان في الإسلام، وقد كرمه الله تعالى وسخر له الموجودات كلها ولم يخلقه عبثاً، وهذا بخلاف الفلسفة الوجودية التي أنهت كل أمل وطموح وهدف للإنسان، حيث جعلته حياة كلها ضجر وقلق ويأس، وينتهي إلى العدم؛ فهي بذلك فلسفة لم تراع توازن الإنسان الروحي والمادي معا، فهي فلسفة لم تراع إنسانية الإنسان.

٢. القضاء على القيم الروحية والمثل العليا:

نعلم أن الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالغيب هو طوق النجاة للإنسان، حيث إن أمره موكول إلى الله تعالى، على خلاف الوجودي الملحد، فالإنسان الذي لا يؤمن بوجود الله تعالى لا بد أن تنحط معاييره وقيمه، ونظرته إلى كل شيء في هذه الحياة؛ ذلك لأن الإيمان بالله تعالى هو الذي يقوي الجانب الروحي من الإنسان، ويربطه بالمثل العليا، إذ يربط القلب البشري بالله.

فمن الواجب علينا إذاً أن نتمسك بالقيم الروحية والمثل الدينية العليا التي دعانا الله تعالى إليها، وأن نختار الفضائل ونبتعد عن الرذائل، وألا نلتفت لتلك المذاهب الهدامة التي تهدف إلى هدم المجتمعات بالإباحية والفوضى الأخلاقية.

---

(١) القرآن وعلم النفس. د/ محمد عثمان نجاتي. ص٢٣٦، دار الشروق.

٣ـ القلق والصراع النفسي:

من أخطر الآثار التي يحدثها الإلحاد بين الأفراد والجماعات انتشـــار ظاهرة القلق والحيرة والاضـطراب بين الأفراد والجماعات، مما ينتج عنه صـراع نفسـي وحرمان من السـعادة، فبداخل الكثير من الناس أسئلة تحتاج إلى أجوبة من مثل: من خلقنا؟ ولماذا خلقنا؟ وإلى أين مصيرنا؟

هذه الأسـئلة وغيرها لا يقلق منها الإنســان الذي فطر على الإيمان بالله وحده؛ لأنه يعلم أن الله خلقه، فخلافته في أرضـــه ليتحقق له النجاة والفوز في الأخرة، وهذا بخلاف الوجودي الملحد الذي دائما ما يصاب الملحدون بالصراع والقلق النفسـي، فهو لا يجد جوابا كافيا عما يدور في نفسه من أسئلة(١).

إن الواقع يشـــهد بأن أكثر الناس إصـــابة بالقلق والحرمان بدلا من الاطمئنان وراحة البال هم الملحدون، فالمؤمن يعيش معافى النفس لا يشـــغله ما يشـــغل الملحد من أفكار هدامة، سواء كانت تلك الأفكار تهدم نفسه أو مجتمعه.

وخلاصـــة القول: إن الإيمان بوجود الله تعالى يحمي الإنســـان من أمور عديدة، منها: القلق واليأس، والصـراع النفسـي نتيجة للإلحاد وعدم الإيمان، وهما من ركائز هذا المذهب؛ لذا يجب أن يعي الشباب المسلم حقيقة المذهب الوجودي وهو يتعامل مع إفرازاته الفكرية والأدبية.

ولا شك في أن الإسلام يرفض الفلسفات الوجودية بجميع أشكالها، ويرى فيها تجسيداً للإلحاد، وأنها فلســفات هدامة؛ لأنها غير مقيدة بأخلاق أو معتقدات دينية، وهي تنادي بأن الإنســان لا يدري من أين جاء، ولا لماذا يعيش، وهذه جميعها أمور محسـومة في الإسـلام، وواضحة كل الوضوح في عقل وضمير كل مسلم يؤمن بوجود الله تعالى وحده لا شريك له. وأيضـا نجد من كل ما تقدم ذكره عن الوجودية أنها فلسـفة تتنافى تماما مع الإسـلام؛ وذلك لأن القرآن الكريم أشار إلى كون الماهية أولا ثم بعد ذلك يتحقق الوجود، لكن هذه الإشارة لم

(١) الإلحاد. عبد الرحمن عبد الخالق ص١٨.

تكن بلفظ الماهية؛ بل بألفاظ تؤدى نفس المعنى وإن لم تصـــرح بها، وذلك في مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ ســـورة الأعراف: ١٧٢، ففي هذه الآية تعبير عن الذرية المكنونة في عالم الغيب المشهود، وفي حلية كل كائن إنساني مكتمل الصفات.

ولقد أشـار د/ حسـن محرم إلى كون الماهية سـابقة عن الوجود بقوله: " إن الوجود الذي يدعون أن له السبق لا بد من القول بأنه وجود مراد ومختار كما تقتضيه الحرية، التي هي الذات الإنســانية للفرد، بل إن الصــورة المثلى التي يتحقق عليها هذا الوجود هي ماثلة دائما أمام وعى ذات، وشعورها مهما كانت طبيعية فهذه هي الصور المثالية للوجود الحقيقي، وهذا المنطق يستلزم شاء الوجوديون أم أبوا أن هذه الصورة للوجود الحقيقي، أو هذه الحقيقة التي يمثلها وعى الإنسان الفرد دائما، وقد اختارها وصمم على تحقيقها، ليست في الواقع إلا ماهية سابقة على هذا الوجود... "(١).

هذا إلى جانب أن الوجودية تنادى بالحرية والاختيار المطلق، ولكن نجد أول من نادي بالحرية الإســـلام الذي أنكره الوجوديون، فالإســـلام نادي بحرية الاختيار حيث قال تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ سورة المدثر: ٣٨ .

وكذا أعطاه الإرادة ليفرق بها بين الحق والباطل وبين الفجور والتقوى، حيث قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ سورة الشمس: ٧، ٨ .

وأخيرًا نقول إن الإســـلام يؤكد على الوجود الداخلي والوجود الخارجي اعترافا منه بقيمة الماهية وقيمة الوجود الفردي والجماعي.

---

(١) انظر: تأملات إسلامية في الفلسفة الوجودية. د/ حسن محرم. ص١٠٣ ط١ سنة١٩٨٦م.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا، أما بعد:

فقد خرجت مما سبق بما يأتي:

١ أن معاني الوجودية ضاربة بجذورها منذ القدم، ولكن الحديث منصب على الوجودية باعتبارها فلسفة أو تياراً فلسفياً، وهذا مالم يظهر إلا في عصرنا الحديث.

٢ الأساس الذي اعتمد عليه الوجوديون هو وجود الفرد العيني بما له من صفات يستطيع أن يكسبها لنفسه بنفسه دون الاعتماد على ماهية مسبقة.

٣ يرى سارتر أن الوجود سابق على الماهية معللا ذلك بحرية الإنسان ومسئوليته مسئولية كاملة عن أفعاله؛ وعليه فإنه يتفق جميع فلاسفة الوجود في كون الوجود سابق للماهيات وهم لا يبالون بالماهيات.

٤ فلسفة سارتر الوجودية تخضع لمعايير الفرد فقط، وتتجاهل في الوقت نفسه المعايير الدينية والأخلاقية، وهذه الفلسفة هي قمة الإلحاد؛ لأن الفرد تحده قيود اجتماعية وعادات وتقاليد، وإلا أصبح هذا الإنسان على هذا النحو الذي قدمته الوجودية الملحدة عديم المشاعر والإحساس، يفعل ما يلوح له بدون قيد ينظم ويحد أفعاله، وبالتالي نستطيع أن نقول عليها إنها فلسفة غير واضحة، وبالأحرى غير مفهومة، وتتنافي تماما مع الإسلام، وقيمه الأخلاقية.

٥ أظهر البحث بأن هناك بعضـــاً من النفاة للماهية قد أنكروا أن يكون لله تعالى ماهية بحجج ضعيفة، ولكن قمنا بالرد عليها ومن أهمها: أن من ثبت بالأدلة بأنه موجود فإنه لا بد وأن يكون له ماهية.

٦ الحق أن الخلاف بين المتكلمين في هذه المســـألة؛ كان في كون الوجود عين الماهية أم زائد عنها، وكل قد اســـتدل على رأيه بأدلة كثيرة، وقد حاولنا التوفيق بين الآراء المتنازعة وذكرنا بأنه لا خلاف في زيادة الماهية ذهنا بمعنى أن للعقل أن يلاحظ الوجود دون الماهية، ويلاحظ الماهية دون الوجود لاعينا وبذلك يرتفع الخلاف.

وأسأل الله تعالى أن يجنبني الخطأ والزلل وأن يسامحني إن كنت قد قصرت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت بأهم المصادر والمراجع

* الاتجاهات الفكرية المعاصـــرة. د/على جريشـــة، دار الوفاء للطباعة والنشـــر والتوزيع بمصر ط٤سنة ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.
* الإلحاد. أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها. عبد الرحمن عبد الخالق، الناشر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ط ٢سنة١٤٠٤هـ.
* آراء فلسفية في أزمة العصر. تأليف/ أدريين كوخ. ترجمة/ محمود محمود، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية سنة١٩٦٣م.
* أرســـطو عند العرب د/عبد الرحمن بدوي، الناشـــر/وكالة المطبوعات. الكويت سنة١٩٧٨م.
* بروتوكولات حكماء صـــهيون. محمد خليفة التونســـي، الناشـــر/ المكتب العربي بيروت. لبنان ط٤.
* تاريخ الوجودية في الفكر البشرى. محمد سعيد العشماوي، الدار القومية للطباعة والنشر.
* تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا. تأليف/بوجينسكى. ترجمة/محمد عبد الكريم الوافي. مؤسسة الفرجانى. طرابلس. ليبيا.
* تأملات إسلامية في الفلسفة الوجودية. د/ حسن محرم. ط١ سنة١٩٨٦م.
* التحقيق التام في علم الكلام. تأليف/محمد الحســـيني الظواهري، الناشـــر/مكتبة النهضة المصرية ط سنة ١٣٥٧هـ١٩٣٩م.
* التعريفات. للشريف الجرجاني، الناشر/دار الفكر ط١سنة١٤١٨هـ١٩٩٧م.
* تفسير الوسيط. د/ محمد سيد طنطاوي، ط٣ سنة ١٤١٠هـ١٩٨٩م.
* الجانب الإلهي د/محمد البهي، الناشر/مكتبة وهبه ط٤ سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

* الحياة الكريمة. تأليف/بيرتون بور ترجمة. د/أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط سنة١٩٩٣م.
* شرح البيجوري على الجوهرة. إبراهيم البيجوري، مكتبة محمد على صبيح وأولاده القاهرة ط سنة ١٣٨٤٠هـ١٩٦٤م.
* شرح العقيدة الطحاوية. لابن أبى العز الدمشقي. تحقيق د/عبدا لله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة. ناشرون ط١سنة١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
* شرح المقاصد للتفتازاني. تحقيق د/عبد الرحمن عميرة، ط عالم الكتب بيروت سنة ١٤٠٩هـ١٣٨٩م.
* الشفاء. لابن سينا. تحقيق الأب قنواتي، د/سعيد زايد. مراجعة/إبراهيم مدكور. القاهرة سنة١٩٦٠م.
* العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية. لإمام الحرمين الجوينى. تحقيق/ محمد زاهد الكوثري، الناشر/المكتبة الأزهرية للتراث سنة ١٤١٢هـ١٩٩٢م.
* غاية المرام في علم الكلام للأمدي. تحقيق/حسن محمود عبد اللطيف. الناشر/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة سنة ١٣٩١هـ.
* الفارابي. تأليف/ محسن مهدي. الناشر/ دار الشروق بيروت ط سنة١٩٦٩م.
* الفصل في الملل والأهواء والنحل. لابن حزم الأندلسي. وضع حواشيه/أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
* الفكر الإسلامي في مواجهة التيارات الفكرية. د/ يحي هاشم، الناشر/ دار المعارف ط١ سنة١٤٠٦هـ.

* الفلسفة المعاصرة في أوربا. لبوشنسكي، ترجمة د/ عزت قرني، الناشر/ سلسلة عالم المعرفة.
* فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام. د/ سعيد اللاوند، الناشر/ مركز الحضارة العربية ط١سنة ٢٠٠١م بالقاهرة.
* القرآن وعلم النفس. د/ محمد عثمان نجاتي، دار الشروق.
* قصة الحضارة. ول ديورانت. ترجمة/ محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة٢٠٠١م.
* قضية الألوهية بين الدين والفلسفة. د/ محمد السيد الجليند، الناشر/ دار قباء للطباعة والنشر بالقاهرة ط سنة ٢٠٠١م.
* لسان العرب لابن منظور. دار المعارف بالقاهرة.
* مباحث الوجود والماهية. عرض ودراسة. د/ أحمد الطيب، دار الطباعة المحمدية سنة١٩٨٢م.
* محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين. لفخرالدين الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية.
* المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار. تحقيق/عمر السيد عزمي، الناشر/المكتبة الأزهرية للتراث.
*مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة. د/ محمد مهران رشوان، الناشر/ دار الثقافة للنشر والتوزيع سنة١٩٨٤م.
* مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية. سعد حباتر، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ط١سنة١٩٧٧م.
* المطالب العالية من العلم الإلهي. لفخرالدين الرازي. تحقيق د/أحمد حجازي السقا، الناشر/دار الكتاب العربي ط١ سنة١٤٠٧هـ١٩٨٧م.

* المعجم الفلسفي. د/جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ط١سنة١٩٧٣م.
* المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية.
* المعجم الوجيز. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
* المعتزلة. زهدي جارالله، مطبعة مصر سنة١٣٦٦هـ١٩٤٧م.
* المذاهب المعاصـــرة وموقف الإســـلام منها. د/عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت ط سنة١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.
* مقالات الإســـلاميين لأبي الحس الأشـــعري. تحقيق/محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢ مكتبة النهضة المصرية سنة١٣٨٩هـ١٩٦٩م.
* مقدمة في نقد الفكر المعاصـــر من الماهية إلى الوجود. د/جميل قاســـم، دار الهلال بيروت سنة ١٩٩٦م.
* مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشـــد. د/محمود قاســـم، ط مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٥٥م.
* من أبعاد الغزو الفكري. د/ محمد الأنور حامد عيســـى، الناشـــر/ دار الكتب المصرية ط٢ سنة١٤٣٢هـ٢٠١١م.
* المنقذ من الضـــلال. للغزالي. تقديم. د/ عبد الحليم محمود، الناشـــر/ دار الكتب الحديثة.
* الملل والنحل للشـــهرســـتاني. تحقيق/محمد بن فتح الله بدران، مكتبة الانجلو المصرية.
* ملحدون محدثون ومعاصـــرون. رمســـيس عوض، الناشـــر/ دار ســـينا للنشـــر. ط١سنة١٩٩٨م.
* المواقف في علم الكلام. للإيجى، عالم الكتب بيروت. لبنان.

* الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. د/ مانع حماد الجهني، ط٣ سنة١٤١٨م.
* معنى الوجودية (دراسة توضيحية من أعلام الفلسفة الوجودية)، من منشورات مكتبة الحياة بيروت.
* نقد المذهب التجريبي. محمد طه آل شبير، دار الهلال بيروت ط٢ سنة١٩٨٧م.
* الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة. د/ محمد غلاب ص٥٨، الناشر/ دار أقلام عربية للنشر والتوزيع سنة٢٠١٨م.
* الوجودية. تأليف/جون ماكوري. ترجمة. د/إمام عبد الفتاح إمام. مراجعة د/فؤاد زكريا، الناشر/ دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة ١٩٨٦م.
* الوجودية فلسفة الوهم الانساني. د/ محمد إبراهيم الفيومي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة١٤٠٤هـ١٩٨٤م، ط مجمع البحوث الإسلامية.
* الوجودية مذهب إنساني. جان بول سارتر. ترجمة د/ عبد المنعم الحنفي، ط٤ سنة١٩٧٧م.
* الوجودية في ميزان الإسلام د/ سعد الين صالح، ط دار الطباعة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٨٩م.
* الوجودية في الميزان. د/مصطفى غلوش، وزارة الأوقاف (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) ط سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
* الوجودية منزع إنساني. لجان بول سارتر ترجمة/ محمد نجيب عبد المولى، الناشر/ دار محمد للنشر والتوزيع. تونس سنة٢٠١٢م.
* الوجود والعدم لسارتر. ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي، دار الآداب بيروت ط١ سنة١٩٦٦م.